القيامة

رأي العين

تأليف
محمد محمود الصواف

إعداد وتحقيق
أبي معاذ أيمن بن عارف الدمشقي

مكتبة السنة

القيامة

رأي العين

تأليف

محمد محمود الصواف

إعداد وتحقيق

أبي معاذ أيمن بن عارف الدمشقي

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مكتبة السنة

الدار السلفية لنشر العلم

دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب

القاهرة : ٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - تليفون ٣٩٠٠٢١٨

فاكس : ٣٩٢٦٢٥٠ - تلكس : TLTHRB UN٢١٧١٩ - ص.ب ١٢٨٩ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد ألاإله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنّ إلاّ وأنتُم مسْلِمُون﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

﴿ياأيها الناسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الذى خلقكم مّن نَّفْس واحدةِ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَها وبَثّ مِنْهُمَا رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله

الذىِ تَسَاءِلُون بـه والأرْحَامَ إنّ الله كـان عليكم رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) .

﴿ ياأَيها الذين آمنوا اتقـوا الله وقـولوا قَوْلاً سَدِيداً .يُصْلِحْ لكم أعمالكم ويَغْفر لكم ذُنُوبَكم ومَن يُطع الله ورسَوُلَهُ فقدْ فاز فوزاً عظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٧٠- ٧١) .

أما بعد فإن الإيمان بيوم القيامة واجب على كل مكلف ،بل هو ركن من أركان الإيمان ، فيكفر منكره ، ويخلد فى النار أبداً حتى لو جاء بأمثال الجبال من أعمال الخير .أما المؤمن بهذا اليوم فهو من أهل الجنة وإن أصابه قبل دخولها ما يصيبه . وليس الأمر يقف عند هذا الحد ، بل بقدر استحضار المسلم لهذا اليوم - وما يحتوى على أهوال وصعاب وشدائد - يعمل ويجد ، ويتحمل الصعاب من أجل يوم أصعب :

ولذا فإن أعلى مراتب الإيمان « أن تعبد الله كأنك تراه » وقد رغبنا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى استحضار يوم القيامة ،

والتفكير فى أهواله وشدائده ، فقال : (مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنظُرَ إلى يَوْم القيامِة كَأنّه رأىَ عَيْنٍ فَلْيَقْرأ ﴿إذا الشمس كُورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾ .

وهذا الحديث هو الذى بنى عليه المؤلف « كتابه » هذا ، فكانت فكرة موفقة للغاية . غير أن الكتاب عندما طبع لم يخدم الخدمة اللائقة به ، فلم تضبط فيه كلمة واحدة : مع أنه يخاطب غير المتخصصين : ثم قد وقع ضبط فى الصفحات فى أوائل سورة الانفطار بمقدار أربع صفحات ، والعجيب أننى قد وقفت على نسخة أخرى مطبوعة فاستبشرت خيرا ،لكنى فوجئت بأن بها نفس الأخطاء ، إذ كانت اعتمدت على المطبوع أولا .ثم إن الكتاب قد احتوى على أحاديث كثيرة تحتاج إلى تخريج . خاصة وفيها عدد غير قليل ضعيف جداً فوجب التنبيه عليه(١) .

والخلاصة أنى قمت بالآتى :

١- الرجوع إلى المصادر التى ينقل منها المؤلف لتصحيح

---

(١) راجع كتاب «الإسرائيليات والموضوعات وأثرها فى كتب التفسير» ط. مكتبة السنة، للشيخ أبو شهبة ؛ لتعرف مدى حاجة كتب التفسير لجهد أهل الحديث .

التصحيفات .الأخطاء المطبعية .

٢- تخريج الآيات ووضع ذلك فى صلب الكتاب .

٣- تخريج الأحاديث المرفوعة .

٤- ضبط الكتاب والأعلاق حتى يتمكن القارىء من القراءة والفهم بيسر .

٥- أوضحت بعض الكلمات الغريبة مع ذكر المصدر المنقول عنه المعنى .هذا وقد كان المؤلف - رحمه الله - قد ذكر بعض المعانى فأبقيت عليها وكتبت بجانبها : (ص) .

وبهذا أرجو إن أكون قد أتممت خدمة الكتاب حتى يستفاد منه بيسر ، خاصة الدعاة والوعاظ .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

القاهرة ١٦ شعبان ١٤١٢ هـ

الخميس ٢٠/ ٢/ ١٩٩٢ م

وكتب أبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقى

المقــدمة

الحـمـد لله رب العـالمين ....والصلاة والسـلام على سـيـدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعــــــد

الاعتقاد بالحسـاب والجزاء ....وبالبعث والنشور ....ركن من أركان الإيمان بهذا الدين العظيم « الإسلام » لذا فـقد أفاضيت آيات الكتاب العزيز « القرآن » وأحاديث النبى العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ببـيان أوصافه وأحـواله وأهواله ، وما يجرى فيـه من أمور تشيب لهـا الولدان ، وتنخلع لها قلوب بنى الإنسـان ، حتى تذهل كل مرضعـة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حـمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

وتعددت فى الكتاب أسماء هذا اليوم العصيب الشديد ، فهو يوم القيامة ، وهو يوم الخلود ، وهو اليوم الآخر ، ويوم الطآمة[١] الكبرى ، ويوم الصاخة[٢] ، والحاقة[٣] ، والقارعة[٤] ، ويوم الحساب ، ويوم الزلزلة الكبرى ...يوم تزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج الأرض أثقالها ، حينئذ يفجع الإنسان ، ويكاد يصعق ، فيقول مبهوتاً مذهولا : مالها؟ مادهاها؟ كيف أخرجت أثقالها وموتاها من بنى البشر؟ من الذين قبروا فيها وامتزجوا بترابها بعد أن ضمتهم أحساؤها ، واحتفظت بهم إلى يوم المحشر والمعاد ؟ فإذا ناداهم المنادى ونفخ فى الصور ، خرجوا من الأجداث[٥] سراعا

---

(١) الطامة : الحادثة التى تَطِمُّ على ما سواها ، أى : تعلو فوقه. (زاد المسير)

(٢) الصاخة : هى الصيحة التى تكون عليهاالقيامة ، تَصُخُّ الأسماع ، أى : تصمها ، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها – قاله الزجاج . (زاد المسير) .

(٣) الحاقة : سميت كذلك لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير أو شر – قاله الزجاج . (زاد المسير) .

(٤) القارعة : أى القيامة ، التى تفزع القلوب بأهوالها . (جلالين) .

(٥) الأجداث : جمع جَدَث ، وهو القبر . (مصباح) .

كأنهم جراد منتشر ، ولفظتهم الأرض من باطنها ، وأخرجتهم إلى ظاهرها ، بعد أن أصبحت قاعا صفصفا[١] لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا[٢] .

﴿ وإذا الأرْض مُدّتْ . وألْقَتْ ما فيها وتَخلّتْ .وأذِنَتْ لِرَبهّاَ وحُقّتْ ﴾ . (الانشقاق : ٣–٥) .

وعند ذاك يكون الحساب ، ويأتى أجل الجزاء والعقاب ...

﴿ فأمّا مَنْ أوتِىَ كِتَابَه بيمينه . فسَوْفَ يحُاسَبُ حساباً يَسيراً . ويَنَقلِبُ إلى أهْلهِ مَسْرُورًا . وأمّا مَنْ أُوتَى كِتابهَ وَرآءَ ظَهْرِه فسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا . ويَصْلىَ سَعِيراً . إنّه كانَ فى أهْلهِ مَسْرُورًا .إنّه ظَنّ أن لّن يَحُور* بلى إِنّ رَبّهَ كان بِه بِصَيرًا ﴾ (سورة الانشقاق : ٧– ١٥).

ومشاهد القيامة فى القرآن العظيم كثيرة ، وصورها متعددة

(١) قاعا صفصفا : منبسطا مستويا . (جلالين – طه : ١٠٦).

(٢) عوجا ولا أمتا : انخفاضا ولا ارتفاعا . (جلالين – طه : ١٠٧)

* أى لن يرجع ولن يبعث

جاءت بأساليب مختلفة ، يكفى أن تفتح كتاب الله وتقرأ فيه لترى أهوال ذلك اليوم ، وأحوال الناس فيه ، وسأكتفى بنقل صورة واحدة عن مصير كتاب الأبرار ، وكتاب الفجار فى ذلك اليوم الخطير ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

قال تعالى فى سورة المطففين – عن كتاب الفجار :

﴿ كَلاَّ إنَّ كتاب الْفُجّار لفى سِجّين .وما أدْرَاكَ ما سِجّين . كِتَاب مّرْقُوم . وَيْل يَوْمَئِذ للّمُكَذّبِينَ .الّذِينَ يُكَذّبُونَ بيَوْمِ الدّينَ ومَا يُكَذّبُ به إلاَّ كُلّ مُعْتَد أثِيم . إذا تُتْلَى عليه آياتُنا قال أسَاطِيرُ الأوّلِينَ كَلاّ بَلْ رَانَ على قُلُوبهم مّا كانُوا يَكْسبُونَ . كَلاّ إنّهُمْ عَن رّبهّمْ يَوْمِئذ لمحْجُوبُونَ . ثُمّ إنّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيم . ثّمَ يُقَالُ هذا الذى كُنتُم بِه تكَذّبُونَ ﴾ .(المطففين : ٧– ١٧).

وعن كتاب الأبرار ، قال تعالى :

﴿ كَلاَّ إنَّ كِتاب الأَبْرَارِ لفِى علّيّينَ . ومَا أدْراكَ مَا عليُونَ . كِتابٌ مّرقُوم . يشهَدْه المَقَرّبُونَ . إنّ الأَبْرارَ لفِى نَعِيم . على

الأرآئكِ ينظُرُونَ . تَعْرفُ فى وُجُوههمْ نَضْرَةَ النّعِيمِ . يُسْقَونَ من رحِيق مّخْتوم . ختَامُه مسْكَ . وفى ذلك فَلْيتَافَس المتَنافسُونَ ومزَاجُه من تَسنِيم . عيْنًا يَشْرَبُ بها الْمُقَرّبُون ﴾ (المطففين : ١٨- ٢٨) .

وبعـــــد .....

فهذه هى الحلقة الخامسة من سلسلة المكتبة القرآنية التى بدأت بإخراجها قبل ثلاث سنوات ونالت - بفضل الله - القبول عند الناس حتى طبعت بعض حلقاتها أكثر من طبعة فى سنة واحدة ، وهذه الحلقة « القيامة رأى العين » مهمة جداً بنظرى خاصة فى هذا الظرف المادى الطاغى ، الذى كاد يعمى الناس وينسيهم مصيرهم وما سينتهون إليه ، من هلاك محقق ، وموت مصدق ، لا يترك صغيراً لصغره ، ولا كبيراً لكبره ، بل يأخذ كلا بأجله فيرديه صريعاً ، ويتركه ضجيعاً قد فارق الأحباب ، وترك الأصحاب ، وانتقل إلى رب الأرباب ، فهنيئاً للسعداء ، والويل ثم الويل للأشقياء البلداء ، الذين نسوا هذا اليوم ولم يعدوا له عدته ، ولم

يأخذوا له أهبته .

ذكر أنه كان رجل من الصالحين يخرج كل ليلة فى الهزيع[١] الأخير من الليل ويقف على سور المدينة وينادى بأعلى صوته : الرحيل ..... الرحيل . يذكر الناس النيام بهذا المصير المحتوم ، ويكررها مرات ومرات فى كل ليلة ، وفى ذات يوم انقطع هذا الصوت الذى اعتاد الناس أن يسمعوه ، فسأل عنه الأمير : أين هو ؟ فقيل له : هو ذاته رحل إلى الله عز وجل . فقال :

مازال يلهج بالرحيل وذكره

حتى أناخ ببابه الجمال

فالموت حقيقة ثابتة ، والله تبارك وتعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ... فما بال الناس تمسكوا وعضوا على حقيقة الحياة وهى سراب ، ونسوا حقيقة الموت وهو هلاك ... وتباب[٢] وحساب ، وثواب وعقاب ...ترى ما الذى غرهم من الدنيا وهذه سهامها تصيب كل يوم أحدهم بسهم منها فترديه

(١) الهزيع من الليل : أو نحو ثلثه أو ربعه . قاموس (هزع) .

(٢) الخسران . مصباح (تب) .

هالكا ، وتسلمه إلى القبر المظلم المطبق عليه سالكا سبيل من سبقوه من الأموات الهالكين ، وقد خرقت القبور منهم الأكفان ، ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ...ترى ما صنعت بهم الديدان ، ومحت الألوان وعفرت الوجوه الحسان ، وكسرت الفقار ، وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء ؟[١].

ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم فى مدلهمة[٢] ظلماء .....قد فارقوا الحدائق ، فصاروا بعد السعة إلى المضايق ، ثم راح ينادى المنادى حتى صحل صوته : ياساكن القبر غدا ، ما الذى غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ ليت شعرى كيف ستصبر على خشونة الثرى ، وبأى خديك يبدأ البلى ؟

---

(١) الأشلاء : جمع «شِلْو» وهو العضو . مصباح (شلو) .

(٢) مدلهمة : فلاة – صحراء – مدلهمة : لا أعلام فيها . الوسيط (دلم)

أيها الناس :

هذه حقائق ثابتة ، ومشاهد قائمة يجب أن يحس بها ويشهدها كل واحد منا ، وأن يعد لهذا اليوم عدته فهو والله واقع لا محالة مهما طال الأجل وامتد الأمل ....والموت كأس وكل الناس شاربه ...

ولقد سميت هذه الحلقة من هذه السلسلة القرآنية « القيامة رأى العين » تبركا وأخذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال فيه : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت** ﴾.

ولقد عمدت إلى هذه السور الثلاث فشرحتها وفسرتها بما ألهمنى الله معتمداً على الله أولاً ، ثم على رجال التفسير من سلفنا الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل الجنة مثواهم ومأواهم ، وأسأل الله أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، والحمد لله

رب العـالمين ، وصلـى الله وسلم على سيـدنا مــحـمـد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد محمود الصواف

مكة المكرمة
رجب ١٣٩٧
يونيو ١٩٧٧

* * *

المرحلة الأولى
المـوت والقبـر

فى حديث البراء بن عازب التالى دليل على حضور الملائكة عند المحتضر حال احتضاره ،فإن كان صالحاً نزلت عليه ملائكة الرحمة وبشرته بالجنة قبل قبض روحه ، وتخرج بسهولة ولطف وسكون ، ثم تصعد إلى الملأ الأعلى ، فتحوز الرضا والقبول عند الله عز وجل ، وأما الكافر أو المنافق إذا احتضر رأى من العذاب ألواناً ، ومن الإهانة أنواعاً ، سواء عند خروج روحه أم عند صعودها إلى السماء .

(١) قال البراء بن عازب رضى الله عنه : خرجنا مع النبى ،

---

(١) صحيح . أخرجه عبدالرزاق (٧٦٣٧) ، وابن أبى شيبة (٣٨/٣) ، وأحمد (٢٨٧/٤ ، ٢٩٥، ٢٩٦) والطيالسى (٧٥٣) ، وأبو داود فى السنة=

صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار ، فلما انتهينا إلى القبر ، ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا معه وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت فى الأرض ، فرفع رأسه فقال :« استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثاً ثم قال :« إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان .قال : فتخرج تسيل كما

=(٤٧٥٣ و٤٧٥٤) ، وابن جرير الطبرى (١٣/٢١٥، ٢١٧، ٢١٧)، وعبدالله بن أحمد فى السنة (١٤٣٨ - ١٤٤٢) ،واللالكائى «أصول الاعتقاد» (٢١٤٠) ، وابن مندة فى الإيمان (١٠٦٤) ، والحاكم (١/٣٧ - ٤٠) .
وقد صححه جمع من الحفاظ ، ذكر بعضهم ابن القيم ورد على من أعله فى تهذيب السنن (١٣/٩٠-٩٣) ، وذكر المنذرى له شواهد فى الترغيب (٤/٣٦٣,٣٧٣).

تسيل القطرة من السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذ وها. فيجعلوها فى ذلك الكفن ،وفى ذلك الحنوط(١) ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين(٢) وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .قال : فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله .فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى

---

(١) الحنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسادهم خاصة ، من مسك .. وعنبر وكافور وغير ذلك . (الوسيط) .

(٢) عليين : مأخوذ من العلو فكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع وهو فى السماء السابعة تحت العرش – الفتح الربانى ٧–٧٨ . (ص) .

لإسلام .فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : رسول الله ،صلى الله عليه وسلم : فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته .فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى ، فافرشوا له من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنه فيأتيه من رَوْحِهَا وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول له : من أنت : فوجهك الذى يأتى بالخير .فيقول : أنا عملك الصالح ،فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل عليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح[1] فيجلسون منه مد البصر ،ثم يجىء ملك

---

(١) المسوح : جمع المسح بالكسر وهو اللباس الخشن المقوت (ص) .

الموت فيجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، فتفرق فى جسده ،فينزعها كما ينزع السفود[1] من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم :﴿ **لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ**﴾ (الأعراف: ٤٠) فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه فى

---

(١) السفود : على وزن تنور ، ووهى حديدة ذات شعب يشوى بها اللحم ، فكما يبقى فيها شىء من بقايا اللحم المحروق ، كذلك تصحب عند الجذب شيئا من الصوف المبلول وهى كناية عن تمزق جسمه وصعوبة خروج روحه نعوذ بالله من ذلك . (ص) .=

سِجّين[١] فى الأرض السفلى . فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم ﴿ومَن يُشرّكْ بالله فكأنَّمَا خرّ مِن السّمـاءِ فتَخطفُهُ الطّيْرُ أو تَهوِى به الرّيحُ فى مكانِ سَحِيقٍ ﴾ . (الحج : ٣١) .

فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ ..فيقول ها هاه[٢] لاأدرى ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى .فينادى مناد من السماء : أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه

---

(١) سجين : مأخوذ من السجن ، وهو الضيق فإن المخلوقات كل ما تسافل منهاضاق ، وكل ما تعالى منها اتسع ، فون الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع من التى دونها حتى ينتهى السفول المطلق ، والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة . الفتح الربانى ٧ – ٧٨ . (ص) .

(٢) هاه : كلمة تقال فى الإبعاد . وقد تقال فى التوجع . (النهاية (هوه)).

من حرها وسمومها[١] ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الذى يأتى بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة ، رب لاتقم الساعة روى هذا الحديث طائفة من الأئمة ، وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلاً من أصول الدين فى عذاب القبر ونعيمه ،وقبض الأرواح وصعودها إلى الله تعالى ، ثم رجوعها إلى القبر ومساءلة.« منكر ونكير » فيه[٢] .

كما يدل هو وغيره من الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الباب على أنه : إذا احتضر العبد الصالح حضرته ملائكة الرحمة ، وبشرته بالجنة قبل قبض روحه ، ثم تخرج بسهولة ، وتصعد إلى الملأ الأعلى ، فتحوز الرضا والقبول عند الله عز وجل ثم ترجع إلى

---

(١) السموم : الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم (لراغب (سم)) .

(٢) سؤال الملكين للميت ، وعذاب القبر ونعيمه مما تواترت به الأحاديث . وانظر نظم المتناثر (١١١-١١٣) .

جسدها فى القبر ، فيسأله الملكان ، ويجيب أحسن الجواب ، ويوسع له فى قبره ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيأتيه من ريحها وطيبها وتكون روحه فى عليين إلى يوم الحشر والنشور .

وإذا احتضر الكافر والمنافق حضرته ملائكة العذاب ، ورأى مكانه من النار فتصعد روحه إلى السماء ، وتغلق دونها ،فترجع إلى جسدها مزودة بالمقت والغضب ، واللعنات من رب البريات ، فيسأله الملكان وهما على أقبح صورة لأن خلقهما لايشبه خلق الآدميين ،ولا خلق البهائم ، ولا خلق الهوام(١) بل هما خلق بديع ،وليس فى خلقهما أنس للناظرين إليهما ، جعلهما الله تكرمة للمؤمن ، لتثبته وتبصره ، وهتكا لستر المنافق فى البرزخ(٢) من قبل أن يبعث(٣) فيسألانه فلا يجيب ، وحينئذ يذيقانه من

---

(١) الهوام : المقصود بها هنا الحشرات ، ومفردها : هامة . وانظر المصباح (هم) .

(٢) البرزخ : ما بين الموت والبعث . (الوسيط) .

(٣) من قول الحكيم الترمزى كما فى لوامع الأنوار ٢-٨ . (ص)

أصناف العذاب ما يشيب لهوله الطفل الصغير ،ويضيق عليه قبره ، ويفرش له من النار ، ويفتح لـه باب من جهنم ، وتكون روحه فى سجين إلى يوم الدين[1] .

* * *

(٣) يوم الدين : يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة (الجلالين – الفاتحة : ٤).

المرحلة الثانية
نعيم القبر وعذابه

من أوفى ما ورد عن عذاب القبر ونعيمه وهما من الأمور الغيبية التى يجب الإيمان بها والعمل والاستعداد لها ، ومن أوفى ما ورد فى هذا الشأن (٢) : ما أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده : عن تميم بن أوس الدارى ، رضى الله عنه :

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« يقول الله عز وجل

---

(٢) إسناده ضعيف : عزاه لأبى يعلى الحافظ ابن حجر فى «المطالب العالية» (٤٦٣٠ - ٤٦٣١) ، وكذا الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٢/٥٣٧ - ٥٣٩). وفى اسناده يزيد الرقاشى ضعيف ، وبه أعله ابن كثير والبوصيرى وابن حجر وزاد : ومن دونه - الرقاشى - من هو مثله وأشد ضعفا .

لملك الموت : انطلق إلى وليّ فلان بن فلان فأتنى به ، فإنى قد ضربته[1] بالسراء والضراء ، فوجدته حيث أحب . ائتنى به فلأريحنه ، فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ، ومعهم ضبائر الريحان ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأزفر ، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة ، ويضع كل ملك يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض ، والمسك الأزفر تحت ذقنه ، ويفتح له باباً من الجنة ، وإن روحه لتعلل بنعيم الجنة الذى تراه ، كما يعلل الصبى أهله إذا بكى . ويقول ملك الموت : اخرجى أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود ،وطلح منضود ، وظل ممدود، وماء مسكوب ، قال : لملك الموت أشد لطفا به من الوالدة بولدها، يعرف أن هذه الروح جبيبة إلى ربها ، فهو يلتمس بتلطفه وتحببه رضاء الرب ، فتنسل روحه كما تسل الشعرة من العجين .قال الله عز وجل : ﴿ الذين تَتوفّاهُمُ الملائكةُ طَيبينَ ﴾ (النحل : ٣٢)

---

(١) كذا في التفسير ، ووقع في المطالب : «جربته».

وقال : ﴿ فأمّا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾ (الواقعة ٨٨: ٨٩) - أى روح من جهة الموت[١] وريحان يتلقى به . وجنة نعيم تقابله - فإذا قبض ملك الموت روحه ، قالت الروح للجسد : جزاك الله عني خيراً ، فقد كنت سريعا بى إلى طاعة الله ، فقد نجيت وأنجيت . ويقول الجسم للروح : مثل ذلك وتبكى عليه بقاع الأرض التى كان يعبد الله فيها ، وكل باب من أبواب السماء يصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه ، فإذا قبض ملك الموت روحه ، أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبه الملائكة قبلهم ، وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بنى آدم ، ويقوم من باب قبره إلى بيته صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ، فيصيح عند ذلك إبليس ويقول لجنوده : الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم ؟ فيقولون : إن هذا كان مؤيداً بالعصمة من ربه .فإذا صعد ملك الموت بروحه استقبله جبريل فى جمع من الملائكة ، كل يأتيه ببشارة من الله تعالى

(١) كذا فى التفسير ، وفى المطالب : «من جهد الموت» .

سوى بشارة صاحبه ، فإذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش ، قال الله عز وجل لملك الموت : انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود ، وطلح منضود ،وظل ممدود ، وماء مسكوب . فإذا وضع فى قبره ، جاءته الصلاة فصارت عن يمينه ، وجاءه الصيام فكان عن يساره ، وجاءه القرآن والذكر فكانا عند رأسه (وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه) وجاءه الصبر فكان ناحية القبر ، فيبعث الله عز وجل عنقاً من العذاب ، فيأتيه عن يمينه . فتقول الصلاة : وراءك والله مازال دائباً عمره كله فى العمل ، وإنما استراح الآن حين وضع فى قبره ، فيأتيه العذاب عن يساره ،فيقول القرآن والذكر مثل ذلك . ثم يأتيه من عند رجليه فيقول (مشيه إلى الصلاة) مثل ذلك ، فلا يأتيه العذاب من ناحية إلا وجد ولى الله قد أخذ جنته ، فينقمع العذاب عند ذلك ويرجع ، ويقول الصبر : أما إنه لم يمنعنى أن أباشر عملى إلا أنى نظرت ما عندكم ، فإن عجزتم كنت صاحبه ، فأما إذا أجزأتم فأنا له ذخر عند الصراط والميزان . ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف ،

وأصواتهما كالرعد القاصف ، وأنيابهما كالصياصى، وأنفاسهما كاللهب ،(يطآن فى أشعارها ، ما بين منكبى كل واحد مسيرة كذا وكذا) وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة . يقال لهما : منكر ونكير ، فى يد كل واحد مطرقة لو اجتمع عليهما ربيعة ومضر لم يقلوها ، فيقولان له : اجلس فيستوى جالساً وتقع أكفانه فى حقويه ، فيقولان له : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فقال الصحابة : يارسول الله ، ومن يطيق الكلام عند ذلك ، وأنت تصف الملكين بما تصف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقَوْل الثَّابتِ فى الحياةِ الدنْيا وفى الآخرة ويُضِلّ الله الظالمينَ ويَفْعلُ الله ماَ يَشَاء** ﴾ (إبراهيم :٢٧).

فيقول العبد ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم . فيقولان له : صدقت ، ويدفعان القبر ، ويوسعانه من بين يديه ومن خلفه . وعن يمينه وشماله ، من كل جهة أربعين ذراعاً ، ثم يقولان له : انظر فوقك فإذاباب مفتوح إلى الجنة . فيقولان له : ولى الله : هذا منزلك إذ أطعت الله . قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ، إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً . ثم يقال له انظر تحتك ، فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار ، فيقولان له : ولى الله : نجوت آخر ما عليك[1] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحه لا ترتد أبداً . قال : ويقول الله لملك الموت : انطلق إلى عدوى فلان بن فلان ، فأتنى به ،فأبى قد بسطت له رزقى ، ويسرت له نعمتى ، فإبى إلا معصيتى ، فأتنى به لأنتقم منه . فينطلق إليه ملك الموت فى أكره صورة رآها البشر ، ومعه سفود من النار كثير الشوك ، ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ، ومعهم سياط من نار تتأجج فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود فى أصل كل شعرة وعرق ، ثم يلويه ليا شديداً ، فينزع روحه من أظفار قدميه ، فيلقيها فى عقبيه ، فيسكر عدو الله سكرة شديدة ، فيهون عليه

(١) فى المطالب : « وهذا منزلك لو عصيت الله ، آخر ماعليك ».

لك الموت حتى يصحو ، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط ، ثم يشده ملك الموت شدة فينزع روحه من ركبتيه ، ويلقيها فى حقويه فيسكر عدو الله سكرة أشد من الأولين . فيهون ملك الموت عليه حتى يصحو ، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط ، ويستمر ملك الموت لينزع إلى صدره ، ثم إلى حلقه ، ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس ، وجمر تحت ذقنه ،ويقول ملك الموت : اخرجى أيتها الروح اللعينة إلى سموم وحميم وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم . فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله عنى شراً فقد كنت سريعاً بى إلى معصية الله بطيئاً بى عن طاعة الله ، فقد هلكت وأهلكت . ويقول الجسد للروح مثل ذلك ، وتلعنه بقاع الأرض التى كان يعصى الله عليها .

وتنطلق جنود إبليس ، فيبشرونه بأنهم أوردوا عبداً من ولد آدم إلى النار ، فإذا وضع فى قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، وحتى تدخل اليمنى فى اليسرى ، واليسرى فى اليمنى . ويبعث الله إليه أفاعى دهما كأعناق الإبل ، يأخذن بأذنيه وإبهامى

قدميه ، فيقرضنه حتى يلتقين فى وسطه ، ويبعث الله إليه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، وأنيابهما كالصياصى ، وأنفاسهما كاللهب (يطآن فى أشعارهما، ما بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا) قد نزعت منهما الرأفة والرحمة ، يقال لهما : منكر ونكير ، فى يد كل منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها ، فيقولان له : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدرى . فيقولان له : لا دريت ولا تليت ، فيضربانه ضربة يتطاير شررها فى قبره ،ثم يقولان له : انظر فوقك ، فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة ، فيقولان له : عدو الله هذا منزلك لو أطعت الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً ، ثم يقولان له : انظر تحتك ، فينظر تحته فإذا باب مفتوح من جهنم فيقولان له :هذا منزلك إذ عصيت الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده

إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً انتهى الحديث. .هذا هو القبر ، وهو المقر الأخير[١] والمصير المحتوم لكل ابن أنثى وإن طالت سلامته . فينبغى للعاقل أن يدأب على توسيعه وإنارته بصالح الأعمال ، ولا يجعل عمره يضيع فى التنافس .

والتكالب على الدنيا .وقد ضمن البارى عز وجل لعبده الضعيف الرزق ، ولم يضمن له النجاة من النار ، فالعاقل يجد ويجتهد فى تحصيل ما لم يضمن وإصلاحه وتحسينه ، وترك المضمون إلى ضامنه ، فالعيش فى هذه الحياة يستوى فيه الغنى الموسر ، والفقير المعسر . ثم يذهب إلى القبر هذا وذاك ، وتطوى صفحات ابن آدم ، وتنتهى أيامه ، وتوزع أمواله ، وتنسى أخباره ولا يبقى معه أو ينفعه إلا ما قدم من عمل صالح .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الصالحات ، ويتوب علينا إنه هو التواب الرحيم .

* * *

---

(١) المقر الأخير : أي إلى ماقبل البعث ، وإلا فالمقر الأخير هو الجنة.

المرحلة الثالثة

النفخ بالصور للبعث والنشور

وهو تصوير لمشاهد القيامة ، أو لبعض مشاهدها

[٣] قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة قال :

---

[٣] إسناده ضعيف . عزاه لأبى يعلى الحافظ ابن كثير فى «النهاية» (ص١٦٤) ، والحافظ ابن حجر فى الفتح (٣٦٨/١١) وبين أنه أخرجه فى مسنده «الكبير» ، وقد أخرجه الطبرانى فى الطوالات (٣٦) ، والبيهقى فى البعث (٦٠٩) ، والطبرى فى تفسير سورة النمل (آية ٨٧) وفى مواضع أخر ، وقد تكلمت عليه فى تخريج «صفة الجنة» من كتاب «الفتن والملاحم» للحافظ ابن كثير برقم (١) . وهذا الحديث مشهور بـ «حديث الصور» .

حـدثنا رسـول الـله صلى الله علـيـة وسلـم ، وهو فى طائفـة من أصحابه قال :

« إنّ الله – تعالى – لما فرغ مَنْ خَلْق السموات والأرض ، خَلَقَ الصُّور ، فـأعطاه إِسْرافـيل ، فهـو واضـعه علـى فِيه ، شَاخِصـاً إلى العَرْش ببـصـره ينتظر مـتى يُؤمـر ؟ قـال : قلت : يارسـول الله مـا الصور ؟ قال قرن قال : كيف هو ؟ قال : عظيم قال : والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة فيه لعرض السموات والأرض . ينفخ فيه ثلاث نفخـات ، الأولى نفخـة الفزع ، والثانـية نفخـة الصعق ، والثـالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع . فيفزع أهل السموات والأرض ، إلا من شاء الله ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر ، وهى التى يقول الله فيها :

﴿ **ومـا يَنظُـرُ هؤلاء إلا صَيْحـَةً وَاحِـدَةً مّا لها مِـن فَوَاق** ﴾ (ص : ١٥) .

فتـسيـر الجبال سـير السـحاب ، فتكـون سراباً ، وترتج الأرض

بأهلها رجاً ، فتكون كالسفينة فى البحر ، تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش ، ترجه الأرواح ألا وهو الذى يقول الله تعالى فيه :

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات : ٦– ٨) .

فتميد الأرض بأهلها ، وتذهل المراضع ، وتضع كل الحوامل ، وتشيب الولدان ، ويطير الناس هاربين من الفزع ، فتلقاهم الملائكة ، فتضرب وجوههم فيرجعون ، ثم يولون مدبرين ، مالهم من الله من عاصم ، ينادى بعضهم بعضا ، فبينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض بصدعين ، من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً ، لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ، نظروا فى السماء فإذا هى كالمهل ، ثم انشقت السماء، فانتثرت نجومها ، وخسفت شمسها ، وقمرها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك »

قال أبو هريرة : من استثناه الله حين يقول ﴿ فَفَزِعَ مَن فى السموات ومن فى الأرْضِ إلاّ مَن شَاء الله ﴾ (النمل : ٨٧) قال : أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فوقاهم الله فزع ذلك اليوم ، وآمنهم منه ، وهو عذاب الله ، يبعثه على شرار خلقه ، وهو الذى يقول الله فيه :

﴿ياأيهّا الناسُ اتقوا ربّكُمُ إنّ زلزلةَ الساعةِ شَىء عَظِيم يَوْمَ تَرَوْنَهــا تَذْهَلُ كُل مُرْضِعَةٍ عَمّاَ أرْضعَتْ وتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْل حملها وتَرىَ النّاسَ سُكَارَى وما هم بِسُكَارى ولكنّ عَذَابَ الله شَدِيد﴾ (الحج : ١-٢) .

فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله ، إلا أنه يطول ، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض ، إلا من شاء الله فإذا خمدوا ، جاء ملك الموت إلى الجبار ، فيقول : يارب مات أهل السموات والأرض إلا من شئت . فيقول الله -

وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول : يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل ، وبقيت أنا ، فيقول الله : ليمت جبريل وميكائيل . فينطق الله العرش ، فيقول : يارب . يموت جبريل ومكائيل ؟ فيقول : اسكت ، فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى ، فيموتان ، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل ، فيقول : يارب ، قد مات جبريل وميكائيل ، وبقيت أنا وحملة العرش ، فيقول الله : فليمت حملة عرشى فيموتون ، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار ، فيقول : يارب قد مات حملة عرشك ، فيقول ، وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول : يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت أنا فيقول الله : أنت خلق من خلقى ، خلقتك لما رأيت فمت ، فيموت ، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كان آخراً كما كان أولاً ، طوى السموات والأرض ، كطى السجل

للكتاب، ثم دحاها ، ثم لفها ثلاث مرات ، وقال : أنا الجبار ، ثلاثاً ثم هتف بصوته : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات ، فلا يجيبه أحد ، فيقول لنفسه : لله الواحد القهار . ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات ، فيبسطها ، ويسطحها ، ويمدها مد الأديم العكاظى ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ثم يزجر الله الخلق زجرة ، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى ، من كان فى بطنها كان فى بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ، ثم ينزل الله عليكم من ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء أن تمطر ، فتمطر أربعين يوماً ، حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت ، فتنبت كنبات البقل ، حتى إذا تكاملت أجسادهم ، فكانت كما كانت ، قال الله : ليحى جبريل وميكائيل : فيحييان ، ثم يدعو الله بالأرواح ، فيؤتى بها تتوهج : أرواح المسلمين نوراً ، والأخرى ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء

والأرض ، فيقول الله : وعزتى وجلالى ، ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ، ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون .

﴿ مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ يقول الكافرون هذا يَوْمٌ عَسِر ﴾ (القمر : ٨) .

حفاة ، عراة ، غلفاً غرلاً ، ثم تقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ، ولا يقضى بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دماء ، وتغرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم ، أو يبلغ الأذقان ، فتضجون ، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا ليقضى بيننا ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم ؟ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلا ، فيأتون آدم ، فيطلبون إليه ذلك ، فيأبى فيقول :

(المهطعون : الناظرون فى خضوع وذل (ص) .

حفاة ، عراة ، غلفاً ،غرلا ، ثم تقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً ، ما أنا بصاحب ذلك ، ثم يسعون للأنبياء نبياً نبياً ، كلما جاءوا نبياً أبى عليهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حتى تأتونيِ فأنطلق ، حتى آتى الفحص فأخِرّ ساجداً قال أبو هريرة : يارسول الله ، ما الفحص ؟ قال : موضع قُدّام العرش ، حتى يبعث الله إلىِ مَلَكاً ، فيأخذ بعضُديِ ، فيرفعنى . ويقول لى: يامحمد . فأقول نعم ، لبيك ياربَ فيقول : ما شأنك ؟ – وهو أعلم – فأقول : يارب وعدتّنىِ الشفاعة ، فشفّعْنى فىِ خَلْقك ، فاقْض بينهم ، فيقول : شَفّعتّك ، أنا آتيكم فأقضى بينكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فأرجع فأقِف مع الناس ، فبينما نحن وقوف ، إذ سمعنا حِسا من السماء شديداً ، فينزل أهل السماء الدنيا مثل مَنْ فىِ الأرض من الجِنّ والإنس ، حتى إذا دَنَوْا من الأرض ، أشرقت الأرض بنوره ،

وأخذوا مصافّهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربّنا ؟ قالوا : لا هو آتٍ ،ثم ينزلون على قَدْر ذلك من التضعيف ، حتى ينزل الجبّار تبارك وتعالى فى ظُلَل من الغمام والملائكة ، ويحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجرهم [(١)] والعرش على مناكبهم ، لهم زجل من تسبيحهم ، يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان الحى الذى لا يموت ، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت ، فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ، ثم يهتف بصوته ، فيقول : يامعشر الجن والإنس ، إنى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا ، أسمع قولكم ، وأرى أعمالكم ، فأنصتوا إلى ، فإنما هى أعمالكم ، وصحفكم ، تقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول :

(١) الحجز ما بين يدى الإنسان من ثوبه ، والمراد هنا مكان الحجز وموضعه . (ص).

﴿ وامْتَـازُوا اليوم أَيّهـــا المجرمون . ألم أَعْهَدْ إليكم يابنى آدمَ ألاّ تعبـدوا الشّيْطانَ إنّه لَكُم عَدُو مـبين. وأنِ اعْبُدُونى هذا صِرَاط مستَقـيـم .ولقَدْ أَضَلّ مِنكُم جِبِلا (١) كَثِيـرًا أفلـمْ تكونوا تعقلون . هذه جَهَنّمُ التى كُنتُمْ تُوعَدُون . اصْلَوْهَا اليومَ بما كُنّتمْ تَكفُرُون﴾ (يسّ : ٥٩ : ٦٤) .

فيميز الله الناس وينادى الأمم ، داعياً كل أمة إلى كتابها ، والأمم جاثية من الهول : قال الله تعالى :

﴿وتَرَى كُلّ أُمّة جَاثِيَة (١)كُلّ أُمّة تُدْعَى إلى كِتَابِهـــا الْيَوْمَ تُجزَوْنَ ما كَنتُمْ تَعْمَلُون ﴾ (الجاثية : ٢٨) .

فيـقضى الله بين خلقة إلا الـثقلين : الإنس والجن ، فيـقضى بين الوحوش والبهائم ، حتى إنه ليقيد (٣) الجماء (٤) من ذات القرن ، فإذا فرغ الله من ذلك ، فلم تبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله لها

---

(١) خلقا . (ص).

(٢) جثا يجثو جلس على ركبتيه . (ص)

(٣) يقيدها يقتص لها والقود القصاص . (ص) .

(٤) الجماء : مالا قرن لها . (ص) .

كـونى تراباً . فعند ذلـك يقول الكافـر : ياليـتنى كنت تراباً . ثم يقضى الله بين العباد ، فيكون أول ما يقضى فيه الدماء ، فيأتى كل قـتيل فى سـبيل الـله ، ويأمر الله من قـتل فـيحـمل رأسه تشـخب أوداجه ، فيـقول : يارب ، فيم قتلنى هذا ؟ فيـقول الله تعالى والله أعلم – فـيم قتلتـه؟ فيقـول : قتلتـه يارب لتكون العـزة لك فيـقول الله : صدقت فـيجعل الله وجـهه مثل نور السـموات ، ثم تسبـقه الملائكة إلى الجنـة ، ثم يأتى كل من كـان يقـتل على غـيـر ذلك ، ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه ، فيقول : يارب ، فيم قتلنى هذا ؟ فيـقول الله –وهو أعلم – فـيم قتلته ؟ فـيقول : يارب ، قـتلته لتكون العـزة لى . فـيقـول الله : تعـست ، ثم ما تبـقى نفس قتلها قاتل إلا قـتل بها ، ولا مظلمة إلا أخذ بها ، وكان فى مـشيئة الله إن شاء عذبه ، وإن شاء رحـمه ، ثم يقضى الله بين من بقى من خلقه ، حتى لا تبقى مظلمـة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم ، حتى إنه ليكلف شـائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء ، فـإذا فرغ الله من ذلك ، نـادى مناد يسـمع الخـلائق كلهـم ،

فقال : ليلحق كل قوم بآلهتم ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، فلا يبقى أحد عَبَدَ من دون الله شيئاً إلا مُثِّلَت له الهيئة بين يديه ، فيجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عُزَيْر ، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ، فيتبع هذا اليهود ، ويتبع هذا النصارى . ثم قادتهم آلهتم إلى النار ، فهذا الذى يقول الله تعالى :

﴿لو كان هؤلاءِ آلهةً مّا وَرَدَوهَا وكُلٌّ فيها خالدون﴾ (الأنبياء : ٩٩).

فإذا لم يبق إلا المؤمنون ، فيهم المنافقون ، جاءهم الله فيما شاء من هيئة ، فقال : ياأيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون : والله ما لنا إلا الله ، ما كنا نعبد غيره ، فينصرف عنهم – وهو الله – فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يأتيهم ، فيقول : ياأيها الناس ، ذهب الناس ، فالحقوا بآلهتكم ، وما كنتم تعبدون ، فيقولون : والله ما لنا إلا الله ، وما كنا نعبد غيره ، فيكشف عن ساقه ، ويتجلى لهم من عظمته ما

يعرفون به أنه ربهم ، فيخرون سجداً على وجوههم ، ويخر كل منافق على قفاه ، ويجعل الله أصلابهم كصياصى [١] البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم ، ويضرب الله بالصراط بين ظهرانى جهنم كقد [٢] الشعر ، أو كعقد الشعر وكحد السيف ، عليه كلاليب وخطاطيف ، وحسك كحسك السعدان ، ودونه جسر دحض [٣] مزلة فيمرون كطرف البصر أو كلمح البرق ، أو كمر الريح ، أو كجياد الخيل ، أو كجياد الركاب ، أو كجياد الرجال ، فناج سالم ، وناج مخدوش ومكدوح [٤] على وجهه فى جهنم فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا :من يشفع لنا إلى ربنا فيدخلنا الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم ؟ إنه خلقه الله بيده ، فنفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلا ، فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه فيذكر ذنباً ، ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ،

(١) الصياصى جمع صيصة : وهى قرن البقر . (ص)
(٢) القد بكسر القاف وتشديد الدال : السير يقد من الجلد . (ص)
(٣) الدحض : المكان الزلق الذى تزلق فيه القدم . (ص)
(٤) مرمى . (ص) .

ولكن عليكم بنوح ، فإنه أول رسله إلى خلقه ، فيؤتى نوح ، فيطلبون ذلك إليه فيذكر شيئاً ويقول : ما أنا بصاحبكم ، عليكم بموسى فيطلبون ذلك إليه فيذكر ذنباً ، ويقول لست بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم. فيطلبون ذلك إليه ، فيقول : ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتونى ولى عند ربى ثلاث شفاعات وعدتهن ، فأنطلق فآتى الجنة ، فآخذ بحلقة الباب ، ثم أستفتح ، فيفتح لى فأحيى ، ويرحب بى فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربى عز وجل ، خررت له ساجداً فيأذن الله لى من حمده ومجده بشىء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول لى الله : ارفع رأسك يامحمد ، واشفع تشفع وسل تعط . فإذا رفعت رأسى قال الله - وهو أعلم - ما شأنك ؟ فأقول : يارب ، وعدتنى الشفاعة فشفعتى فى أهل الجنة ، يدخلون الجنة ، فيقول الله عز وجل : قد شفعتك ، وأذنت لهم فى دخول الجنة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعْرَفَ بأزواجِكم ومساكِنكم مِنْ أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم » .

فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما يُنشِىء، وثنتين آدميتين ، لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله فى الدنيا ، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، له سبعون درجة من سندس وإستبرق ويضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر من صدرها ما وراء ثيابها من جلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى لحم ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوتة ، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة ، فبينما هو عندها ، لا يملها ولا تمله ، إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ، ولاتمل ، إلا أن لك أزواجا غيرها ، فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما فى الجنة أحسن منك ، وما فى الجنة شىء أحب إلى منك . قال : وإذا وقع أهل النار فى النار ، وقع فيها خلق من خلق ربك ، أوبقتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذه إلى قدميه لا يجاوز ذلك منهم ، ومنهم من تأخذه إلى

حقويه [(١)] ومنهم من تأخذ جسده كله ، إلا وجهه قد حرم الله [صورته] [(٢)] عليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقول يارب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى ، فيقول الله عز وجل : أخرجوا من عرفتم ، فيخرج أولئك ، حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يأذن الله لى فى الشفاعة . فلا يبقى نبى ولا شهيد إلا شفع ، فيقول الله : أخرجوا من وجدتم فى قلبه زنة الدينار إيمانا ، فيخرج أولئك ، حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من وجدتم فى قلبه إيمانا ثلثى دينار . ثم يقول وثلث دينار . ثم يقول قيراطا . ثم يقول : حبة من خردل . فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ، وحتى لا يبقى فى النار من عمل الله خيرا

(١) الحقو : الخصر . (ص) .

(٢) فى الأصل (صورة) وشرحه فى الهامش بأنه صفحة العنق !! وهو قد تابع فى ذلك محقق «النهاية» المطبوعة بمكتبة النصر ، فهو كثير التصرف فى المتن ، كثير التأويل ، وقد صرح بذلك فى مقدمته ، وسترى شيئا من ذلك فى التعليق القادم ، والمؤلف - رحمه الله - قد تابعه عليه .

أما مسألة «الصورة» فقد كتب عنها بحثا جيدا الدكتور عبدالعزيز الشهوان فى تحقيقه لكتاب «التوحيد» لابن خزيمة (ص٨٨ - ٩٠) .

قط ، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع ، حتى إن إبليس ليتطاول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له ، ثم يقول الله : بقيت أنا ، وأنا أرحم الراحمين ، فيدخل يده فى جهنم ، فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حب فيبثهم الله على نهر يقال له : نهر الحيوان ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، مما يلى الشمس أخضر ، ومما يلى الظل منها أصفر ، فينبتون حتى يكونوا أمثال الذر ، مكتوبا فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل ، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ، ما عملوا الله خيرا قط ، فيبقون فى الجنة» [١] .

إلى هنا [٢] كان فى أصل أبى بكر بن العربى ، عن أبى يعلى

(١) هذا الحديث بطوله وتفصيله وأسلوبه بعيد أن يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخاصة أنه تضمن مقاطع من القول أسقطناها لبعدها عن أدب الدين وخلق الرسول عليه السلام . وليس يشفع له ، ولا يغرى بقبوله : كثرة رواته ، ولا تعدد طرقه . (ص) .

(٢) من هنا إلى نهاية الفصل من كلام الحافظ ابن كثير فى كتابه «الفتن والملاحم» .

رحمه الله ، وهو حديث مشهور ، رواه جماعات من الأئمة فى كتبهم كابن جرير فى تفسيره ، والطبرانى فى المطولات ، والحافظ البيهقى فى كتابه « البعث والنشور » والحافظ أبى موسى المدينى فى المطولات أيضا من طرق متعددة عن إسحاق ابن رافع قاص أهل المدينة ، وقد تكلم فيه بسببه ، وفى بعض سياقه نكارة واختلاف ، وقد بينت طرقه فى جزء منفرد . قلت : واسماعيل بن رافع المدينى ليس فى الوضاعين وكأنه جمع هذا الحديث من طرق وأماكن متفرقه ، فجمعه وساقه سياقة واحدة فكان يقص به على أهل المدينة وقد حضره جماعة من أعيان الناس فى عصره ، ورواه عنه جماعة من الكبار كأبى عاصم النبيل ، والوليد بن مسلم ، ومكى بن إبراهيم ، ومحمد بن شعيب بن سابور ، وعبدة بن سليمان ، وغيرهم ، واختلف عليه ، فتارة يقول : عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب ، عن رجل، عن أبى هريرة

وتارة يسقط الرجل ، وقد رواه إسحاق بن راهويه ، عن عبدة بن سليمان ، عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن زيد ، عن أبى زياد عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب ، عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بطوله ، ومنهم من أسقط الرجل الأول . قال شيخنا الحافظ المزى : وهذا أقرب ، قال : وقد رواه عن إسماعيل بن رافع عن الوليد بن مسلم ، وله عليه مصنف ، بين شواهده من الأحاديث الصحيحة ، وقال الحافظ بن موسى المدينى بعد إيراده له بتمامه : وهذا الحديث وإن كان فى إسناده من تكلم فيه ، فعامة ما فيه يروى مفرقا من أسانيد ثابته ، ثم تكلم على غريبه.

* * *

سورة التكوير

وهى مكية وآياتها تسع وعشرون آية نزلت بعد سورة المسد .

قال تبارك وتعالى :

﴿ إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت . وإذا النفوس زوجت . وإذا الموءدة سئلت .بأى ذنب قتلت . وإذا الصحف نشرت . وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة أزلفت . علمت نفس ما أحضرت . فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس . إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين .

وما هو بقول شيطان رجيم . فأين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾

مناسبتها لما قبلها

سورة التكوير نزلت سابعة بعد سورة « المسد » ووضعها النبى صلى الله عليه وسلم بعد سورة « عبس » (١) ليدل ترتيب المصحف بعد ترتيب النزول على أن حرص النبى الكريم على اهتداء العدو البعيد لم يكن بأنقص ولا أقل من حرصه على اهتداء العدو القريب **﴿لعلك بَاخعٌ نفسَك أن لا يكونوا مؤمنين﴾** (الشعراء : ٣) .

ونزلت كل آيات هذه السورة جملة واحدة ، ومناسبتها لما قبلها أن هذه السورة وسورة عبس التى قبلها كلتاهما تشرح

(١) مذهب الجمهور أن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة ، وليس توقيفيا من الشرع ، ولم يقل أحد من العلماء بوجوب ترتيب السور فى القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها . وانظر فتح البارى (٩/٤٠) .

أحوال يوم القيامة . وأهوال يوم المحشر التى يشيب لها الولدان ، وهذه السورة ذات مقطعين اثنين ، تعالج فى كل مقطع منهما حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة :

الأولى : حقيقة القيامة وما يصاحبها من انقلاب كونى هائل كامل يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش .

كما يشمل بنى الإنسان جميعهم .

والثانية : حقيقة الوحى ، وما يتعلق بها من صفة الملك الذى تحمله ، وصفة النبى الذى يتلقاه ، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحى معه ، ومع المشيئة الكبرى التى فطرتهم ونزلت لهم الوحى.

* * *

المعنى العـام للســــورة

ابتدأ الـله عز وجل هذه السـورة الكريمة بذكر عـلامات ودلائل تكون يوم القيـامة ، وهى أولى مراحل البـعث والنشور ومقـدمات البـعث تكون بخراب الدنيـا واختـلال نظام الكون وهلاك كل من فيه ، وذلك عند النفـخة الأولى ، وفى هذا الوقت تكور الشمس ، وتلف حـتى لا يكون لها أثر من ضـوء أو حرارة ، والنجـوم تتناثر وتتـسـاقط ، وترجـف الأرض وتضطرب ، فـتـزول الجبـال من أماكنـها، وتصبـح كالعهن المنفوش ، وتسـجر البحـار بالزلازل ، وتشـتعل حـتى تصبح بحـراً واحدا مـن نار ، وعندها تهتـز النفس البشرية هزاً عنيفاً طويلا تنخلع له قلوبها وتضطرب أحوالها ، ولا ملاذ لها ولا ملجأ إلا فى حمى الواحـد القهار الذى له وحده البقاء والدوام ، وعنده وحده القرار والاطمئنان .

والسورة بعمومهـا تخلع النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن ، لتلوذ بكنف الله وتأوى إلى حمـاه وتطلب عنده الأمن والطمأنينة

والقرار بعد ما ترى من هول خراب الدنيا ، وبدء قيام الساعة ، التى تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت . وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

[٤] أخرج الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« مَنْ سَرَّهُ أنْ ينظرَ إلى يَوْمِ القيامةِ كأنّه رأى عَيْن فَلْيَقْرأْ : ﴿ **إذا الشمس كورت**﴾ و﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ و﴿ **إذا السماء انشقت**﴾.

* * *

---

[٤] حسن . أحمد (٢/٢٧ ، ٣٦ ، ١٠٠) ، والترمذى فى التفسير (٣٣٣٣) وقال : حسن غريب ، والحاكم فى المستدرك (٤/٥٧٦) وصححه قلت : فى اسناده عبدالرحمن بن يزيد الصنعانى وهو صدوق ، فالقول قول الترمذى ، والله أعلم .

التفسير

لما ختم الله سبحانه سورة عبس يوم القيامة وأهوالها ، افتتح هذه السورة أيضا بذكر علاماتها وأحوالها وأهوالها ، وقد ذكر سبحانه اثنى عشر شيئا مما سيقع عند قيامها ، قال : إذا وقعت هذه الأشياء فهنالك (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ) وهذه الأشياء هى :

قوله تعالى :

١- ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَتْ ﴾ :

أى أظلمت واضمحلت ، وذهبت وطمست ، وقيل : معناها انكسفت . وقال الحسن : محى ضوؤها . وقيل : معناها ألقيت ورميت عن الفلك .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض . ومنه تكوير العمامة ، وجمع الثياب بعضها إلى بعض .معنى قوله (كورت) : جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وأظلمت واضمحلت .

وورد عن ابن عباس : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال : يكور

الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ، ويبعث الله ريحا دبوراً [(١)] فتضرمها[(٢)] ناراً . وكذا قال عامر الشعبى .

٢- ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ :

أى تهافتت وتناثرت ، وذهب ضوؤها ولألاؤها، وانقضت وتساقطت . قال الكلبى : تمطر السماء يومئذ نجوما ، فلا يبقى نجم فى السماء إلا وقع على وجه الأرض . وذكر القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن قال :

[٥] روى أبو صالح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لا يبقى فى السماءِ يومئذ نَجْمٌ إلاّ سقط فى الأرض . حتى يفزع أهل الأرض السابعة مما لَقِيَتْ وأصاب العليا» يعنى الأرض . ثم قال : وروى الضحاك عن ابن عباس فى قوله :﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ قال : تساقطت . وذلك أنها

(١) الدبور : ريح تهب من جهة المغرب . (مصباح) .

(٢) تضرمها : توقدها وتشعلها . (وسيط) .

[٥] ضعيف . القرطبى فى تفسير [التكوير (١٤٨/١٩)] ولم يعزه لأحد ، ولم أقف عليه عند غيره . وأبو صالح الراوى عن ابن عباس هو باذام مولى أم هانيء ضعيف ، والله أعلم .

قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور ، وتلك السلاسل بأيدى ملائكة من نور . فإذا جاءت النفخة الأولى مات من فى الأرض ومن فى السموات ، فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدى الملائكة ، لأنه مات من كان يمسكها وقال ابن كثير فى تفسيره :

﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ : أى انتثرت ، وأصل الانكدار الانصباب ، قال الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ،فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلى الإنس ، والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم فى بعض .

[٦] وقال يزيد بن أبى مريم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم :

---

[٦] إسناده ضعيف . عزاه لابن أبى حاتم : الحافظ ابن كثير فى التفسير (٤/٤٧٦) ، وكذا السيوطى فى الدر المنثور (٦/٣١٨) وزاد نسبته للديلمى . وإسناده ضعيف : يزيد بن أبى مريم من الطبقة السادسة فحديثه معضل ، والراوى عنه ابنه ولم يسم .

﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾

قال :« انكدرت فى جهنم ، وكل من عُبِدَ من دون الله فهو فى جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها » رواه ابن أبى حاتم .

وقال المفسر المعاصر الشهيد سيد قطب رحمه الله فى تفسيره «فى ظلال القرآن » ج ٣٠ :

وانكدار النجوم قد يكون معناها انتشارها من هذا النظام الذى يربطها ، وانطفاء شعلتها ، وإظلام ضوئها والله أعلم ما هى النجوم التى يصيبها هذا الحادث ، وهل هى طائفة من النجوم القريبة منا ومجموعتنا الشمسية ، ومجرتنا هذه التى تبلغ مئات الملايين من النجوم ؟ أم هى النجوم جميعها والتى لا يعلم عددها وموضعها إلا الله ، فوراء ما نرى منها بمراصدنا مجرات وفضاءات لها لا نعرف لها عددا ولا نهاية ، فهناك نجوم ،سيصيبها الانكدار كما يقرر هنا الخبر الصادق الذى لا يعلم حقيقته إلا الله . انتهى فليعد كل امرىء عدته لهذا اليوم العصيب ، الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من

أتى الله بقلب سليم .

٣- ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ :

أى قلبت عن الأرض وسيرت فى الهواء حين زلزلة الأرض فتقطع أوصالها ، وتقذف فى الفضاء ، وتمر على الرؤوس مر السحاب .

قال الإمام القرطبى رحمه الله : يعنى قلعت من الأرض وسيرت فى الهواء ، وهو مثل قوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ نسير الجْبالَ وتَرَى الأرْضَ بَارِزَةً﴾** [الكهف : ٤٧] وقوله فى سورة عم **﴿وسُيِّرَت الجبالُ فكانتْ سَرَاباً ﴾** (النبأ : ٢٠) .

وقيل : سيرها تحولها عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا رملاً سائلا ، وتكون كالعهن ، وتكون هباء منثورا ، وتكون سرابا مثل السراب الذى ليس بشىء ، وعادت الأرض قاعا صفصفاً ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا . هذا هو تسيير الجبال وهو نسفها ، وتذريتها فى الهواء كما جاء فى آيات أخرى . وقال تعالى : **﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾** (طه: ١٠٥-١٠٧)

وقال تعالى : ﴿ **إذا رُجّتِ الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا** ﴾ (الواقعة : ٤ – ٦).

وكل هذه الآيات تشير إلى حدث عظيم يصيب الجبال فيذهب بثباتها ، فيزلزلها زلزالا شديداً ، ويصيب الشمس فتكور ، ويصيب النجوم فتنكدر ، وكلها من مقدمات أهوال ذلك اليوم العظيم : ﴿ **يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد** ﴾ . (الحج : ٢) .

وكل هذا بيان من الله عز وجل ، وتحذير لعباده ليعد كل امرىء عدته لهذا اليوم العظيم ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ (المطففين : ٦) .

٤ – ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾:

أى النوق العشار وهى أكرم الأموال لديهم وأعزها عندهم ، أهملت ولم يعن بشأنها ، ولم يهتم بها أحد ، لا شتداد الخطب وفداحة الهول .

قال الإمام القرطبى فى تفسيره : أى النوق الحوامل التى فى

بطونها أولادها ، الواحدة عشراء ، أو التى عليها فى الحمل عشرة أشهر ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع ، وبعدما تضع أيضاً . قال : وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما تكون على العرب ، وليس يعطلها أهلها إلا حال القيامة . وهذا على وجه المثل لأن فى القيامة لا تكون ناقة عشراء ولكن أراد به المثل إن هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه .

وقيل إنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضا ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم ، لم يعبئوا بها ولم يهممهم أمرها ، وخوطبت العرب بأمر العشار ، لأن مالها وعيشها أكثره من الإبل ، وروى الضحاك عن ابن عباس : عطلت : عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم .

قال الأعشى :

هو الواهب المائة المصطفاة

إما مخاضا وإما عشارا

وقال آخر :

ترى المرء مهجوراً إذا قل ماله

وبيت الغني يهدى له ويزار

وما ينفع الزوار مال مزورهم

إذا سرحت شول له وعشار

٥- ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ :

أي جمعت ، والحشر الجمع - كما قال تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ . (الأنعام : ٣٨) .

قال ابن عباس رضي الله عنه: تحشر الوحوش غدا ، أي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض ، فيقتص للجماء من القرناء ، ثم يقال لها : كوني تراباً ، فتموت .

وقيل : إذا قضي بينها بعد حشرها وجمعها ردت ترابا ، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم ، وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : حشرها موتها . تقول العرب إذا أضرت السنة بالناس ، وأصابتهم بالقحط والجدب : حشرتهم السنة ، أي أهلكتهم ، وهلاكها يكون من هول ذلك الحادث الجلل

العظيم ، وإذا كان هذا حال الوحوش ، فكيف سيكون حال بنى آدم يومذاك ؟

فالوحوش مع نفرتها اليوم من الناس وتفرقها فى الصحارى والقفار وأعالى الجبال ، سوف تنضم غداً إلى الناس من أهوال ذلك اليوم وتنسى وحشيتها ونفرتها ، وتحشر والناس سواء بين يدى حكيم عليم ، من لا تخفى عليه خافية ، ولا تغيب عنه غائبة فى الأرض ولا فى السماء ، سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

٦- ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ :

سجرت قرىء بالتخفيف والتشديد [١] . من سجر التنور إذا ملأه بالحطب : أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا ، وقيل : ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار ، وقد يكون تسجيرها : إضرامها نارا . فإن ما فى بطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقاتها العليا . أما الماء فيذهب عند ذلك

(١) هكذا ذكره القرطبى (١٩/ ١٥٠) ولم يصرح برفعه ، ولم يعزه لأحد وسيأتى .

بخارا ، ولا يبقى فى البحار إلا النار ، أما كون باطن الأرض يحتوى على نار ، فقد وردت بعض الأخبار أن البحر غطاء جهنم ، وإن لم يعرف فى صحيحها وفى الخبر[١] : « البحر نار فى نار » وقد أثبت البحث العلمى وجود النار تحت طبقات الأرض وتحت البحار ، ويشهد على ذلك غليان البراكين وهى جبال النار ، كما تشهد عليه الزلازل الشديدة التى تشق الأرض والجبال فى بعض أطراف الأرض ، وفى هذه البراكين تندلع ألسنة النيران من باطن الأرض ، وتظهر ظهورا لاشبهة فيه كما حدث فى اليابان ، وفى جاوا، وفى إيطاليا ، وفى أغادير بالمغرب ، وفى تركيا ، وإيران ، وجيانا .

ونقل الإمام القرطبى رحمه الله قال :

قال ابن عباس : يكور الله الشمس والقمر والنجوم فى البحر ، ثم يبعث الله عليها ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير نارا .

---

(١) أى بتخفيف وتشديد حرف الجيم : «سُجِّرَتْ» و«سُجِرَتْ» .

[٧] وكـذا فى بعض الحديث :« يأمـر الله جل ثناؤه الشـمس والقـمر والنـجوم فـينتـثرون فى البـحـر ، ثم يـبعـث الله جل ثناؤه الدبور فـيـسجـرها ناراً ، فـتلك نار الله الكبـرى التى يعـذب بهـا الكفار ».

قال القـشيـرى : قيل فى تفـسيـر قول ابن عـباس « سـجرت » أوقدت . ويحـتمل أن تكون جـهنم فى قعـور البحـار ، فهى الآن غير مـسجورة لقوام الدنيا ، فإذا انقضت الدنيا سجـرت فصارت كلهـا ناراً يعذب اللـه بها الكفـار والمنافـقين ،ويحتـمل أن تكون تحت البـحـر ناراً ، ثم يوقـد الله البـحـر كله فـيـصـيـر نارا ، وفى الخبر :« البـحـر نار فى نار » ونقل الإمـام القـرطبى قـول أبى بن

[٧] منكر . ذكـره القرطـبى (١٩/ ١٥٠) ولم يعزه لأحـد ، ولم أقف عليـه عند غيره . وهو منكر ، لأنه يخالف ما أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود= = مرفـوعا : «يؤتى بجـهنم يومئـذ ..) الحديث . ومـخالف أيضـا لما تواترت به النصـوص من أن الجنة والنار مـخلوقـتان الآن . وهـذا هو عقـيـدة أهل السنة ، والعلم عند الله تعالى .

كعب حيث قال :« ست آيات من قبل يوم القيامة » بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس ، وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا ، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثوا ، ففزعت الإنس إلى الجن ، والجن إلى الإنس ، واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير ، وماج بعضهم في بعضهم فذلك قوله تعالى : ﴿**وإذا الوحوش حشرت**﴾ . قالت الجن للإنس : نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هي نار تأجج ، فبينما هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم » انتهى .

وقيل معنى سجرت : هو حمرة مائها حتى تصير كالدم مأخوذ من قولهم : عين سجراء أي حمراء ، وهذه الآية ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ من معجزات هذا القرآن الكريم ، وإن كان كله

معجزات ، إلا أن هذه الآية جاءت بأمر عجيب وسر غريب .

فالبحار من الماء ، ومن المعلوم أن النار إذا اشتعلت جلبوا لهاالماء لإطفائها وإخمادها ، فكيف تشتعل هذه البحار وتسجر ، والتسجير : الاشتعال . كما يقال : سجرت المرأة التنور : إذا أشعلته ، حتى يأتى العلم الحديث فيتوصل إلى تفجير « الذرة » ويقول فيما يقول : لو انفجرت ذرات البحار لأصبحت نيراناً حامية يعجز عن إدراك هولها العقل البشرى .

ولو شاء الله أن يفجر ذرات البحر بعد أن تصبح بحراً واحداً بأمره ، لملأ الأرض نارا تلظى لا تبقى ولا تذر ، وهى : ﴿**نار الله الموقدة . التى تَطّلِع على الأفئدة**﴾.(الهمزة : ٦-٧) .

قال المفسر المعاصر الشهيد الأستاذ الكبير سيد قطب – رحمه الله – فى تفسيره فى ظلال القرآن : وأما تسجير البحار ، فقد يكون معناه : ملؤها بالمياه ، وإما أن تجيئها هذه المياه من فيضانات كالتى يقال : إنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها وإما بالزلازل

والبراكين التى تزيل الحواجز بين البحار ، فيتدفق بعضها على بعض ..... وإما أن يكون معناه التهابها وانفجارها كما فى موضع آخر « وإذا البحار فجرت » . فتفجير عناصرها ، وانفصال الأيدروجين عن الأوكسجين فيها . أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع فى تفجير الذرة ، وهو أشد هولا أو نحو آخر ، وحين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لا يتصور مداها تنطلق من البحار ، فإن تفجير قدر محدود من الذرات فى القنبلة الذرية أو الأيدروجينية يحدث هذا الهول الذى عرفته الدنيا .... فإذا انفجرت ذرات البحر على هذا النحو ، أو نحو آخر ، فإن الإدراك البشرى يعجز عن تصور هذا الهول وتصور جهنم الهائلة التى تنطلق من هذه البحار الواسعة . انتهى .

﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ (ق : ٣٠ - ٣١) .

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الجنة ، وأن يجنبنا النار ويصرف

عنا عذابها ﴿ **إن عذابها كان غراما**[1] . **إنها ساءت مستقرا ومقامًا** ﴾ . [الفرقان : ٦٤– ٦٥]

٧– «﴿وإذا النفوس زوجت ﴾ :

هذه أول مراحل البعث والنشور ، ذكرت بعد المقدمات السابقة التى ساقها الله فى هذه السورة – التكوير – إذا النفوس تعود إلى أبدانها بعد أن كانت بعيدة عنها ، وكانت الحياة الثانية للبعث والحساب ، ومعنى زوجت : أى قرن كل واحد منها إلى شكله وضم إليه . والنفس يعبر بها عن الإنسان ، وقد يعبر بها عن الروح ، ومعناها : قرن كل إنسان بشكله من أهل النار وبشكله من أهل الجنة .

وقيل فى معنى زوجت : أى عادت الأرواح إلى أبدانها بعد أن كانت قد انفصلت عنها بالموتة الأولى ، وهذه هى النشأة الآخرة . وفى الآية ما يشعر بأن النفوس كانت باقية من يوم الموت المعتاد

---

(١) (غراما : ملازما . (جلالين) .

إلى المعاد ، وإنما تزوج بالبدن بعد أن كانت منفردة عنه ومنفصلة عنه .

[٨] وورد عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« وإذا النفوس زوجت » قال: «الضرباء[1] كل رجل يقرن مع كل قوم كانوا يعملون كعمله . وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ **وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون** ﴾ (الواقعة : ٧- ١٠) قال : هم الضرباء .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرن الفاجر مع الفاجر ، ويقرن الصالح مع الصالح .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : ذلك حينما يكون الناس أزواجاً ثلاثة ، السابقون زوج ، يعنى صنفاً وأصحاب اليمين

---

[٨] اسناده ضعيف . أخرجه الطبرى (٢٩/٣٠) ، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٤/٤٧٧) ، والدر المنثور (٦/١٥٤) ، وزاد السيوطى نسبته لابن مردويه . وفى إسناده الوليد بن أبى ثور ، وهو ضعيف .

(١) الضرباء : هم الأمثال والنظراء ، واحدهم : ضريب [النهاية : ضرب].

زوج ، وأصحاب الشمال زوج .

وعنه أيضاً قال : زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين ، قرن الكافر بالشياطين وكذلك المنافقون ا هـ .

ونقل الإمام القرطبى رحمه الله قوله : قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار ، فيضم المبرز فى الطاعة إلى مثله ،والمتورط إلى مثله ، وأهل المعصية إلى مثله فالتزويج أن يقرن الشىء إلى مثله ا هـ .

وقال عبد الرحمن بن زيد فيما نقله القرطبى : جعلوا أزواجاً على أشباه أعمالهم ليس بتزويج : أصحاب اليمين زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، والسابقون زوج ، وقد قال جل ثناؤه : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ (الصافات : ٢٢) أى أشكالهم .

وقال الحسن : ألحق كل امرىء بشيعته ، اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان يعبد شيئاً من دون الله ، يلحق بعضهم ببعض ، والمنافقون بالمنافقين ، والمؤمنون بالمؤمنين ..

وقيل فى معناه : يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة . ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين .

وكل هذا إنما سيكون يوم الحساب : ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ [المطففين : ٦] ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

٨- ﴿وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت﴾ :

هاتان آيتان عظيمتان من آيات هذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، أزالتا منكراً عظيما فَشَا فى الجاهلية ، إذ انتشرت بينهم عادة حمقاء ، وجريمة نكراء ، فقد هانت عليهم النفس الإنسانية وقست فيها قلوبهم ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، إذ انتشرت بينهم عادة وأد البنات ، وهن أحياء خوف الفقر ، أو خوف العار المزعوم . وحكى القرآن عن هذه الجريمة ما يسجل هذه الشناعة على الجاهلية الجهلاء ، التى جاء الإسلام ليرفع العرب من وهدتها ، بل ليرفع البشرية كلها وينقذها من الظلمات إلى النور ، فقد قال الله تبارك وتعالى فى موضع آخر من القرآن ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه**

مسـودًا وهو كظيم . يتـوارى من القـوم من سـوء ما بُشِّر به أيمسكه على هون أم يدسه فِي التراب ألا سَاءَ ما يحكمون ﴾ .
[النحل : ٥٨ -٥٩] لقد كـان الوأد يتم في صورة بشـعة قاسـية تقشعر لهولها الأبدان ويذوب لها القلب حسرات .

فقد كـان الرجل الجاهلى إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسـها جـبة من صوف أو شـعر ترعى له الإبل والغنم فـى البادية ، وإن أراد قتلها تركـها حتى إذا كانت سداسيـة أى بلغت من العمر ست سنوات - قال لأمـها : طيبيـها وزينيها حـتى أذهب بها إلى أحمائها ويكون هو قد احتفر لها بئرا فى الصحراء فيأخذها من يد أمهـا المسكينة الحزينة ويسـير بها حـتى يبلغ بها البـئر ، هذا الوالد القاسى الذى هو الوحش الكاسـر بعينه فيقـول لها وهو واقف على حافة البئـر : انظرى فيها فتنظر الفريـسة المسكينة فيها فيـدفعها من خلفهـا ويسقطها فى البـئر ثم يهيل التـراب عليها ، حتى تستوى البئر بالأرض .

فيا لله ما أعظم هذه القسوة ، وما أبشع هذه الجريمة ، وما أغلظ هذه القلوب التى قدت من صـخر ، إذ تقتل البريئـات وتسفك دم الطفلات الطاهرات بغير جرم ، سوى خوف الفقر أو خوف العار .

ويروى أنه كانت المرأة فى الجاهلية إذا قرب أوان وضعها حفرت الحفرة ، فتمخضت على رأس الحفرة ، فإذا ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة ، وإن ولدت ابناً حبسته وأبقته إليها .

كانت - هذه حال العرب قبل الإسلام ، حتى جاءهم الله بهذا الدين العظيم(١) ، فلما خالطت بشاشته قلوبهم غيرتها إلى قلوب رحيمة رقيقة كريمة ، جياشة بالرأفة والحنان ، فمحا الإسلام عنهم وصمة هذا العار وهذا الخزى ، فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها لمحوه هذه العادة القبيحة منهم وغيرها من سيء العادات ، وجاءت هاتان الآيتان رحمة للناس أجمعين : ﴿**وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت**﴾ ويوم القيامة تسأل الموءودة على أى ذنب قتلت ؟ ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟

---

(١) ولكن هل حفظ النساءهذا الجميل؟ وأخذن دينهن بالتبجيل . أم تراهن للصلاة تاركات ، وفى الطرقات متبرجات . ينادين بتغيير أحكام الدين ، معترضات على أحكم الحاكمين . متناسيات أنه لولا هذا النور ، لكن الآن فى القبور . ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ ، ألا فارجعن قبل فوات الأوان ارجعن إلى الله تائبات قانتات ، وإلا فارجعن مأزورات غير مأجورات .

وعن ابن عباس : ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ أى سألت : أى طالبت بدمها .

[٩] وذكر الإمام أحمد رحمه الله قال : حدثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف ، حدثتنى خنساء ابنة معاوية الصريمية ، عن عمها قال : قلت يارسول الله من فى الجنة ؟ قال :« النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والموءودة فى الجنة » .

ومن هنا استدل العلماء على أن أطفال المشركين لا يحاسبون وهم فى الجنة ، ورد عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين فى الجنة ، فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب . يقول الله تعالى :﴿ وإذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت ﴾ : قال ابن عباس : هى المدفونة .

وقد افتخر الفرزدق بجده صعصعة بن ناجيه إذ كان قد منع الوأد فقال :

ومنا الذى منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يوأد

(٩) إسناد ضعيف . أحمد (٥/٥٨) ، وهو أيضا عند أبى داود فى الجهاد (٢٥٢١) من طريق عوف ربه . وسنده ضعيف من أجل خنساء – ويقال : حسناء – تفرد بالرواية عنها عوف الأعرابى .

[١٠] وذكر أن صعصعة هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يارسول الله ، عملت أعمالاً فى الجاهلية، فهل لى فيها من أجر ؟ فقال :« وما عَمِلْتَ » ؟ قال : قد أحييت ثلاثاً وستين من الموءودة ، أشترى الواحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا من باب البر ، ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام » .

[١١] وروى أنه قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى وأدت اثنتى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة ؟ قال :« أعتق عددهن نسماً » .قال

[١٠] ضعيف . أخرجه البزار (٤٦ - مختصر ابن حجر) ، والعقيلى فى الضعفاء (٢٢٨/٢٢) ، والطبرانى (٨/رقم ٧٤١١٢) . قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩٥/١) : وفيه الطفيل بن عمرو التميمى ، قال البخارى : لا يصح حديثه . وقال العقيلى : لا يتابع عليه .

[١١] المرفوع حسن بطرقه . أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) - وابن مندة - كما فى الإصابة [ترجمة قيس (٢٥٣/٣)] كلاهما من طريق أبى عبدالله الظهرانى - وسماه ابن منده : محمد بن عماد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن=

فأعتق عددهن نسما : أى رقابا ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال يارسول الله ، هذه صدقة قومى على أثر ما صنعت بالمسلمين ، قال على بن أبى طالب : فكنا نريحها

=بشير عن عمر – به .

والظهرانى هذا لم أقف على ترجمته ، لكنه توبع ، فقد أخرجه البزار (١٥٢٥ – مختصر) ، والطبرانى (٨/٣٣٧/رقم ٨٦٣) ، والبيهقى (٨/١١٦) كلهم من طريق الحسين بن مهدى الأبلى عن عبدالرزاق – به لكن لم يذكروا فيه .. فلما كان العام ..إلخ . قال الهيثمى (٧/١٣٤) : رجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدى الأبلى – فى المطبوع الأيلى – وهو ثقة . أ هـ وأشار البزار إلى أن عبدالرزاق خولف فى إسناده ، قلت : قد أخرجه عبدالرزاق فى تفسيره (٢/٣٥١) عن معمر عن قتادة – مرسلا . وقد أخرجه الطبرى من طريق عبدالرزاق . وذكر البيهقى له شاهدا وهو عند الطبرنى أيضا (٨/رقم ٨٦٨) ، ورجال إسناده ثقات غير قيس بن الربيع ، وهو صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . وقول الهيثمى (٧/١٣٤) : «فيه يحيى بن عبدالحميد الحمانى وهو ضعيف» . هذا الكلام على إسناد الطبرانى ، وقد توبع من أبى نعيم عند البيهقى ، وعلّة السند الحقيقية شيخهما «قيس بن الربيع» كما تقدم . وأرى أن الحديث حسن بهذه الطرق ، والله أعلم .

ونسميها القيسية .

وقال تعالى : (سئلت) سؤال الموءودة ، سؤال توبيخ لقاتلها ، كما يقال للطفل إذا ضرب لم ضربت وما ذنبك ؟

قال الحسن : أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب.

وذكر بعض أهل العلم فى قوله تعالى : (سئلت) قالت : طلبت كأنه يريد كما يطلب بدم القتيل . قال : وهو كقوله تعالى: ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ (الأحزاب: ١٥) ، أى : مطلوبا : فكأنها طلبت منهم ، فقيل : أين أولادكم ؟ ومنهم الموءودة بالطبع .

وقرأ الضحاك وأبو الضحى : عن جابر بن زيد وأبى صالح : ﴿وإذا المؤءودة سئلت﴾ فتتعلق الجارية المقتولة بأبيها يوم القيامة ، فتقول بأى ذنب قتلتنى؟فلا يكون له عذر ، قاله ابن عباس.

[١١] وروى عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن المرأة التى تقتل ولدها تأتى يوم القيامة متعلقا

---

[١١] ذكره القرطبى (١٥٢/١٩) ولم يعزه لأحد ، ولم أجده عند غيره ، وهذا ينبيء بضعفه على أحسن الأحوال !

ولدها بثدييها ، ملطخا بدمائه ، فيقول : يا رب هذه أمى ، وهذه قتلتنى !».

قال القرطبى رحمه الله : وهو مثل قوله تعالى لعيسى : ﴿أأنت قلت للناس﴾ (المائدة : ١١٦) على جهة التوبيخ والتبكيت لهم . فكذلك سؤال الموءودة توبيخ لوالدها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ، لأن هذا من لا يصح إلا بذنب فبأى ذنب كان ذلك ، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها كان أعظم فى البلية ، وظهور الحجة على قاتلها ، والله أعلم .

٩ - ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ :

عدالة الله سبحانه وتعالى قضت ألا يؤخذ إنسان إلا بذنبه ، لا يحاسب إلا على عمله : ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ (الكهف:٤٩)

لذا فقد وكل الله بكل إنسان ملكين يكتبان كل ما يصدر عنه من أعمال الخير أو الشر ، لا يزيدان عليهما ولا ينقصان منها ، والصحف التى تكتب فيها الملائكة أعمال الإنسان تبقى حية ما حيا الإنسان ، يسجل فيها كل صغيرة وكبيرة من أعماله ، فإذا مات الإنسان طويت هذه الصحف وأقفلت وسدت ، فإذا بعث الإنسان يوم الحشر ، نشرت وكشفت ، وظهرت له فيها أعماله ،

ليقرأها ويحاسب على ما فيها ، ويقف كل إنسان على صحيفته ، فيعلم كل ما فيها من كبائر الأعمال ودقائقها حتى يقول : ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (الكهف : ٤٩).

قال قتادة : صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ، ثم تنشر يوم القيامة ، فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته .

[١٢] وروى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يحشر الناس يو القيامة حفاة عراة» فقلت : يا رسول الله ، فكيف بالنساء ؟ قال : «شغل الناس يا أم سلمة» قلت : وما شغلهم ؟ قال : «نشر الصحف ، فيها مثاقيل الذر

[١٢] صحيح . أخرجه الطبرانى فى الأوسط (رقم ٨٣٧) ، وصح إسناده السيوطى فى الدر المنثور (٣٧١/٦) ، وزاد الهيثمى (٣٣٣/١٠) نسبته للكبير، وقال : رجال رجال الصحيح غير محمد بن أبى موسى . فى المطبوع بن موسى - بن أبى عياش ، وهو ثقة . أ هـ . قلت : سكت عنه البخارى وابن ابى حاتم ، ووثقه ابن حيان (٤٢٦/٧) ، وللحديث شواهد كثيرة يصح بها منها فى الصحيحين عن عائشة . وانظر : مجمع الزوائد (٣٣٢/١٠-٣٣٣) ، والدر المنثور (٣١٧/٦) ، وتفسير النسائى (رقم ٦٦٧ ط ٦٦٨) ، وتخريج الكشاف ـ٧٠٩/٤) .

ومثاقيل الخردل» .

ونقل الإمام الزمخشرى قول «مرثد بن وداعه» قال : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش ، فتقع صحيفة المؤمن فى يده ﴿فى جنة عالية﴾ (الحاقة : ٢٢) وتقع صحيفة الكافر فى يده ﴿فى سموم وحميم﴾ (الواقعة : ٤٢) أى مكتوب فهيا ذلك . وهى صحف غير صحف الأعمال .

ونقل الإمام القرطبى رحمه الله قول أبى السوار العدوى قال : هما نشرتان وطية ، أما ما حييت ياابن آدم فصحيفتك المنشورة فاملأ فيها ما شئت ، فإذا مت طويت حتى إذا بعثت نشرت : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾(الإسراء: ١٤).

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه كان إذا قرأها قال : إليك يساق الأمر ياابن آدم .

ونشرت : أى فتحت بعد أن كانت مطوية ، وظهرت بعد أن كانت مخفية ، وعلنيتها هذه وفضحها وكشفها أشد على نفوس أصحابها وأنكى .

قال المفسر الشهيد سيد قطب رحمه الله فى تفسيره : « فى

ظلال القرآن » : وهذه العلنية أشد على النفوس وأنكى ، فكم من سوأة مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكرها ، ويرجف ويذوب من كشفها ، ثم إذا هى جميعاً فى ذلك منشورة مشهودة.

إن هذا النشر والكشف لون من ألوان الهول فى ذلك اليوم كما أنه سمة من سمات الانقلاب ، حيث يكشف المخبوء ، ويظهر المستور ، ويفتضح المكنون فى الصدور . انتهى .

ونشرت قرىء بالتخفيف لنشرها مرة واحدة لقيام الحجة على أصحابها ، وقرىء بالتشديد ، ونشرت على تكرار النشر للمبالغة فى تقريع العاصى وتبشير المطيع ، وقيل لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء .

١٠- ﴿ وإذا السماء كُشِطَتْ ﴾ :

الكشط هو رفع شىء عن شىء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

والكشط : قلع عن شدة التزاق ، فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره .

قال الإمام الرازى رحمه الله فى تفسيره : أى كشطت وأزيلت

عمـا فوقـها ، وهو الجنة وعـرش الله ، كمـا يكشط الإهاب[1] عن الذبيحـة ، والغطاء عن الشىء، وهذا إنما يـكون بخلو ذلك العـالم الجـديد من الـكواكب ، بل بخلوه مما يـطلق عليـه فى الـدنيـا اسم الأعلى والأسـفل . وقد سبق فى أول السـورة أن الشمس كـورت وأن النجـوم قـد انكدرت ، فـتكشط بـعـد ذلك وتزال بإذن الله ، ويأمر الله فـلا يبقى ما يسمى بسماء فى عرفنا اليـوم ، حيث ينظر الإنسان فلا يرى هذه القبة الزرقاء الجميلة .

وقال القرطبى – رحمه الله قيل : السماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشـىء ، وقيل : تطوى كـمـا قال تعـالى : ﴿**يوم نطوى السمـاء كطىّ السّجِلّ للكُتب**﴾ . (الأنبـيـاء : ١٠٤) . فكأن المعنى : قلـعت فطويت وأزيلت من الوجـود ، حـيث انتقل الناس إلى عالم آخر ، عالم الخلود والبقاء ، عالم الحساب .

هذا العالم فى جـميع وجـوهه وأشكاله ، القاضى فـيه هو الله ، والحكم فـيه هو الله ، والعـدل فيه هو اللـه ، والرحيم فيـه هو الله ، المحيط بكل شىء وهو على شىء قدير .

---

(١) الإهاب : الجلد . وأنظر المصباح (أهب) .

١١- ﴿وإذا الجحيم سعّرَتْ﴾ :

تسعير جهنم وإزلاف الجنة ، هما الخطوة الختامية الأخيرة من مشاهد يوم القيامة المذهل الرهيب ، والناس عندها فريقان فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

ومعنى « سعرت » أى أوقدت وأضرمت حتى ازدادت شدة على شدة : فهى تتوقد ، وتستعر ويزداد لهبها ووهجهاوحرارتها، ويزداد فى إضرامها وإحمائها ، وتعد للكفار حتى يكونوا وقودا لها .كما قال تعالى : ﴿وقودها الناس والحجارة﴾(البقرة : ٢٤).

قال قتادة : سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم .

[١٣] وروى (١) عن الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أوقَدِ على النار ألفَ سنةٍ حتى احمرتْ ، ثم أُقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أُوقد

[١٣] إسناده ضعيف . أخرجه الترمذى فى صفة جهنم (٢٥٩١) ، وابن ماجة فى الزهد (٤٣٢٠)، وفى سنده شريك بن عبدالله النخعى سىء الحفظ، وقد اضطرب فى هذا الحديث ، وانظر السلسلة الضعيفة (رقم ١٣٠٥).

(١) الضمير المستتر يعود على القرطبى ، ولو قال المؤلف - رحمه الله -: «ذكر» أو «نقل» مكان أولى .

عليا ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة » . وروى موقوفاً ا. هـ والواجب على المؤمن أن يعلم بأن هناك ناراً حامية أعدها الله للعذاب واسمها « جهنم » وأنها تسعر وتوقد ، وتشتعل على الشكل الذى يريده الله ، وإن ألم من قضى عليه بالدخول فيها من أشد الآلام التى تحدث ، وإن جهنم هذه إنما أعدها الله لأهل الكفر والقسوة والطغيان ، والنفاق والعصيان لا يظلم فيها أحدا ولو بمثقال ذرة ، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ .(الكهف : ٤٩) . قال تعالى فى سورة الملك ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير . إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهو تفور . تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾. (الملك :٦-١٠) .

وقال تعالى : ﴿إن جهنم كانت مرصادًا . للطاغين مئابا . لابثين فيها أحقاباً . لا يذوقون فيها بَردًا ولا شرابا . إلا حميما وغساقا . جزاء وفاقا﴾. (النبأ : ٢١-٢٦).

وقال تعالى : ﴿إنّ المنافقين في الدّرْك الأسفل من النار﴾. (النساء : ١٤٥) .

١٢- ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ :

الجنة دار ثواب ، كما أن النار دار عقاب ، وفى الآية السابقة سعرت الجحيم للمجرمين ، وهنا أزلفت الجنة للمتقين وبهذه الآية تكون سورة التكوير قد ذكرت اثنتى عشرة خصلة ستا منها فى الدنيا . وستا منها فى الآخرة . ومعنى أزلفت أى أدنيت وقوبت للمتقين . قال الحسن : إنهم يقربون منها ، لا أنها تزول عن موضعها . وقيل : قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سروراً ، ويزداد أهل النار حسرة وندامة .

وأزلفت معناها القربة فى اللغة ، قال تعالى : ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ وتزلف فلان أى تقرب . فالجنة تقرب لأصحابها وخطابها ، وعشاقها من المؤمنين ، وتظهر لروادها الموعودين بها ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وبذلوا أرواحهم وأ موالهم رخيصة فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وكانوا فى الدنيا وكأنهم غرباء عنها بعيدون منها ،

شغلهم الجهاد فى الله عن التمتع بمباهج هذه الحياة الفانية ، وشغلهم الحنين إلى الجنة عن التفكر فيما سواها من أمور الدنيا ، يقرأون كتاب الله بالخشوع والدموع . وكانوا كلنا مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه . رضى الله الله عنهم ورضوا عنه إنهم أصحاب الجنة وكفى .

﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ :

بعد أن ذكر الله عز وجل الأمور الاثنى عشر فى الآيات السابقات ذكر هنا بهذه الآية الجزاء المرتب على الشرط الذى هو مجموع هذه الأشياء . فقال : علمت نفس ما أحضرت أى ما علمت من خير وشر فى الدنيا ، وهذه الآية جواب الشرط الذى ورد فى الآية الأولى من السورة وهى : **﴿ إذا الشمس كورت ﴾** وما بعدها .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا أجرى الحديث . وروى عن ابن عباس ، وعمر رضى الله عنهما أنهما قرآها فلما بلغا: **﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾** . قالا :لهذا أجريت القصة .

فالمعنى على هذا : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، وكانت هذه الأشياء ، علمت ما أحضرت من عملها .

[١٤] وفى الصحيح عن عدى بن حاتم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحدَ إلاّ وسيكلّمُه اللّه ، ما بينه وبينه تَرْجُمَان ، فينظر أيْمَنَ منه فلا يرَيَ إلا ما قَدّمَه ، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدّمه بين يدية ، فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أنْ يتقى النار ولو بشقّ تمرة فليْفْعَل » .

ونقل الإمام القرطبى رحمه الله فى تفسيره قول ابن زيد : عن ابن عباس إذ قال فى قوله تعالى : ﴿إذا الشمس كورت – إلى قوله – وإذا الجنة أزلفت ﴾ ، اثنتا عشرة خصلة ، ست منها فى الدنيا ، وست منها فى الآخرة .

وقد بينا الست الأولى بقول أُبَىّ بن كعب* .

قال المفسر الكبير سيد قطب رحمه الله عندما تقع الأُحداث الهائلة كلها ، فى كيان الكون ، وفى أحوال الأحياء والأشياء .

---

[١٤] متفق عليه . البخارى فى الرقاق (٦٥٣٩–٦٥٤٠) ، ومسلم فى الزكاة (٦٧/١٠١٦).

عندئذ لا يبقى لدى النفوس شك فى حقيقة ما عملت وما تزودت به لهذا اليوم ، وما حملت معها للعرض وما أحضرت للحساب ﴿علمت نفس ما أحضرت ﴾

كل نفس تعلم فى هذا اليوم الهائل ما معها وما عليها ، تعلم هذا الهول يحيط بها ويغمرها ، تعلم وهى لا تملك أن تغير شيئا مما أحضرت ، ولا أن تزيد عليه ولا أن تنقص منه .... الخ ﴿فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس ﴾ :

كل الذى مر علينا من سورة التكوير هو المقطع الأول منها ، وهذا هو المقطع الثانى من هذه السورة العظيمة ، فبعد أن ذكر الله فى المقطع الأول من أحوال يوم القيامة ، وأهوالها بين أن الناس حينئذ ستنكشف لهم حقائق أعمالهم فى النشأة الأولى ، ويظهر لهم ما فيها من خير أو شر ، ويعلمون حق العلم عن كل ما أحضروه معهم من أعمال فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

بعد هذا ، أردف سبحانه وتعالى ببيان أن ما يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كلام الله ، وهو القرآن الذى أنزل

عليه ، وهو آيات بينات من الهدى والفرقان ، وأن ما رموه عليه الصلاة والسلام به من المعايب كقولهم : إنه ساحر أو مجنون أو شاعر أو كذاب ، ما هو إلا محض افتراء أو اختلاق ، ولجاجكم فى عداوته وتألبكم عليه ما هو إلا عناد واستكبار ، وضلال وصغار ، وقدم تبارك وتعالى لهذه المعانى بقوله :« فلا أقسم» وهذه عبارة معروفة استعملها العرب فى القسم ، ويريدون بها تأكيد الخبر كأنه فى ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم . قيل : « لا » زائدة ، فمعناه « أقسم » .

ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان أو جماد ، وإن لم يعلم وجه الحكمة فى ذلك . أما العبد فليس له ذلك إذ لا يجوز أن يقسم إلا بالله .

* * *

(الخنس الجوار الكنس)

﴿ الخنس ﴾ جمع خانسة.من «خنس» إذا رجع .و« الكنس » جمع كانسة ، من « كنس الظبى » إذا استتر فى كناسه ، وهو موضع فى الشجر يأوى إليه من شدة الحر أو غيره ، والجوارى جمع جارية . من الجرى

﴿ الخنس الجوار الكنس ﴾ قيل : هى الكواكب كلها ، تخنس بالنهار ، فتغيب عن العيون وتكنس بالليل : أى تطلع فى أماكنها كالوحوش فى كنسها ، وقد أقسم الرب العظيم بها لما فى حركتها وظهورها طوراً ، واختفائها طوراً آخر من الدلائل على قدرة مصرفها وخالقها ، ومبدعها ومسيرها ، وما خلقها من بديع الصنع وإحكام النظام .

وقال القرطبى رحمه الله : هى الكواكب الخمسة الدرارى(١)

(١) الدرارى : جمع «درى» ، وهو الكوكب المتلألىء الضوء . [(الوسيط) : درر]

«زحل ، والمشترى ، وعطارد ، والمريخ ، والزهرة » ، فيما ذكر أهل التفسير وهو مروى عن على كرم الله وجهه . وهذا لأنها تستقبل الشمس ثم تجرى مع الشمس ، ثم ترى راجعة حتى تختفى فى ضوء الشمس ، فرجوعها فى رأى العين : هو خنوسها ، واختفاؤها : هو كنوسها .

وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿**فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس**﴾ إنها النجوم الخمسة : زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، لأنها تخنس فى مجراها ، وتكنس أى تستتر ، كما تكنس الظباء فى المغار وهو الكناس . ويقال : سميت خنساً لتأخرها ، لأنها الكواكب المتحيرة التى ترجع وتستقيم .

﴿ والليل إذا عسعس ﴾ :

أى إذا أدبر وذهب ، وفى إدباره وزواله زوال الغمة التى قد تغمر كثيرا من الأحياء إذا ما دهمها الليل وخيم عليها بظلامه المرهب المخيف ، فإذا انجابت الظلمة وانحسر الليل وأدبر ، ارتاحت النفوس الخائفة ، وتنفست باستقبال فجر جديد ، ويوم جديد .

وقال المبرد : عسعس الليل : أقبل أو أدبر وهو من الأضداد والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو : ابتداء الظلام فى أوله ، وإدباره فى آخره .

قال علقمة بن قُرْط :

حتى إذا الصبح لها تنفسا

وانجاب عنها ليلها وعسعسا

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره : وعندى أن المراد بقوله : « إذا عسعس » إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله فى الإدبار [لكن الإقبال] أيضا ههنا أنسب ، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال تعالى : ﴿**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى**﴾ (الليل : ١-٢) وقال: ﴿**والضحى . والليل إذا سجى**﴾ (الضحى : ١-٢) وقال : ﴿**فالق الإصباح وجعل الليل سكنا**﴾ (الأنعام : ٩٦) وغير ذلك من الآيات .

ثم أردف قائلا : وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة « عسعس » تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ،

فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم .

﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ :

أى إذا طلع وأضاء وأقبل وظهر نوره فى الوجوه . وفى انشقاق الفجر وانبلاج ضوئه ، وانفلاق صبحه بشرى للأنفس البشرية وأمل بحياة جديدة فى نهار جديد ، إذ تنطلق الإرادات لتستعد لما هو آت وتستدرك ما فات ، ولعلها تحصل فيه على الرغبات وتسد به الحاجات ، وتنال بعد ذلك الدرجات بعملها الجديد فى الجنات المعروشات .

قال الزمخشرى رحمه الله : إذا أقبل الصبح : أقبل بإقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفسا له على المجاز ، وقيل تنفس الصبح .

﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ :

هذا هو جواب القسم الذى مر بقوله تعالى : **﴿ فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس ﴾** أى : إن ما أخبركم به وبشركم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من أمر الساعة وأحوالها ،

ليس هو بكهانة ولا اختلاق ولا سحر ولا افتراء ، بل هو الحق الصراح والقول العظيم الذى نزل به جبريل وحياً من ربه على رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

قال الحسن وقتادة والضحاك : الرسول الكريم « جبريل » والمعنى ﴿ **إنه لقول رسول** ﴾ عن الله . وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ، ثم عداه عنه بقول : ﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾ ليعلم أهل التحقيق فى التصريف أن الكلام لله عز وجل ، ثم وصف الله عز وجل هذا الرسول بخمسة أوصاف فى كتابه العزيز فقال : ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ (١) ﴿**ذى قوة**﴾ (٢) ﴿**عند ذى العرش مكين**﴾ (٣) (**مطاع**) (٤) ﴿**ثم أمين**﴾ (٥)

وإليكم شرحاً مختصرا لأوصافه هذه :

١- ﴿ كريم ﴾ على الله عز وجل ، عزيز على ربه ، إذ أعطاه أفضل العطايا ومنحه أكرم المنح . وهى الهداية والإرشاد ، وأمره ربه عز وجل أن يوصلها إلى أنبياء الله ورسله ليبلغوها للناس

أحمرهم وأسودهم ، شرقيهم وغربيهم .

٢- ﴿ ذى قوة ﴾ :

قال القرطبى رحمه الله : من جعله جبريل فقوته ظاهرة ، فروى الضحاك عن ابن عباس قال : من قوتة قلع مدائن قوم لوط بقوادم جناحه[١] .

وهو فوق قوته المذكورة ، فهو قوى فى الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ ، وقد جاء فى آية أخرى ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾(النجم : ٥) وهو قوى فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وأداء الأمانة .

[١٥] روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل

---

(١) قوادم الجناح : عشر ريشات كبار أو أربع فى مقدمته ، الواحدة : «قادمة» وانظر الوسيط (قدم) .

[١٥] عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٣٢١/٦) لابن عساكر عن معاوية بن قرة . قلت : و«تاريخ دمشق» لابن عساكر من مظان الضعيف ، والله أعلم .

عليه السلام : « ما أَحْسَنَ ما أثنى عليك ربّك ، ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين » فما كانت قوتك وما كانت أمانتك؟ فقال : أما قوتى فإنى بعثت إلى مدائن لوط ، وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى ، فحملتهن من الأرض السفلى ، حتى سمع أهل السموات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ، ثم هويت بهن فقلبتهن ، وأما أمانتى فإنى لم أؤمر بشىء فعدوته إلى غيره » .

٣- ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ :

أى له مكانة ومنزلة عند الله تبارك وتعالى وشرف وجاه عند ذى العرش العظيم .

قال أبو صالح فى قوله تعالى **﴿ عند ذى العرش مكين ﴾** قال : جبريل يدخل فى سبعين حجابا من نور بغير إذن . ومكين : أى متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه ، رفيع

المنزلة عظيم القدر عنده . كما يقال فلان مكين عند السلطان ، والمكانة القرب ، فسبحان من وهب من شاء ما شاء .

٤-٥ ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ :

أى جبريل عليه السلام ، مطاع فى السموات ، تطيعه ملائكة السماء ، وهو ليس من أفناء[1] الملائكة الكرام ، بل هو من السادة العظام والأشراف الكرام . معتنى به بحيث انتخب لهذه الرسالة العظيمة ، وكان رسول الله إلى صفوة خلقه أجمعين وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهو من منزلة ورفعة عند الله تبارك وتعالى .

[١٦] قال ابن عباس رضى الله عنه : من طاعة الملائكة جبريل عليه السلام لرضوان – خازن الجنان – افتح له . فدخل

---

(١) أفناء : قال الجوهرى : يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم من هو . اللسان (فنى) .

[١٦] ذكره القرطبى فى تفسيره (١٩/١٥٦) ولم يعزها لأحد ، ولم أقف على اسناده . وما أظن إسناده يصبح .

ورأى ما فيها ، وقال : لمالك - خازن النار - افتح له جهنم حتى ينظر إليها . فأطاعه وفتح له .

[١٧] ومنها ما ورد أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، حينما اشتد أذى قريش فى مكة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله يقرئك السلام ، وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك . وكان الملك مع جبريل فسلم الملك على النبى صلى الله

[١٧] متفق عليه من حديث عائشة . البخارى فى بدء الخلق (٣٢٣١) ، ومسلم فى الجهاد والسير (١٧٩٥) ، لكن ينبغى التنبيه على أمرين . الأول : أن ذلك كان سببه أذى ثقيف للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض عليهم أن يؤوه حتى يبلغ رسالة الله تبارك وتعالى .
الثانى : قوله «اللهم أهد قومى ..» ليس فى هذا الحديث ، وإنما ورد فى حديث آخر عن ابن عباس فى دعوة الكفار «بمنى» ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢/٢٩٨) لابن مردويه والضياء فى «المختارة» ، وانظر للمزيد فتح البارى (٦/٥٢١) .

عليه وسلم ، و قال : إن أمرتنى أن أطبق عليهم الأخشبين [١] فعلت » فصبر النبى صلى الله عليه وسلم واحتسب ، وقال قولته المشهورة « لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ، « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

و« ثم » من قوله (مطاع ثم) بمعنى هناك أى فى العالم العلوى ، وهو العالم العلوى الذى لا يعلم حقيقته إلا الله ، وهو علام الغيوب ، وهو الله عز وجل رب العالمين . ونحن سكان الأرض عالم واحد منها ، والباقى من العوالم لا يعلمها إلا الله

---

(١) الأخشبان : جبلا مكة «ابو قبيس» والذى يقابله ، وكأنه «قعيقعان»، وقال الصغانى : بل هو الجبل الأحمر الذى يشرف على «قعيقعان» .. وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقا واحدا ... وفيهذا الحديث بيان شفقة النبى صلى الله عليه وسلم على قومه ، ومزيد صبره وحلمه ، وهو موافق لقوله تعالى : (فيما رحمة من الله لنت لهم)
[آل عمران : ١٥٩] وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء : ١٠٧]
أ . هـ . من الفتح (٣١٦/٦) .

عز وجل وكل له قانتون . قال تعالى : ﴿ **وله من فى السموات والأرض كل له قانتون** ﴾ . (الروم : ٢٦) .

« أمين » أى مؤتمن على الوحى الذى يجىء به من ربه ، وأمين فى تبليغ الرسالات الربانية ، وقد عصمه الله من الخيانة فيما يأمره به وجنبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال .

وهذه شهادة عظيمة من رب عظيم حيث زكى بها عبده ورسوله الملكى جبريل عليه السلام ، كما زكى عبده ورسوله البشرى محمد .صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ . ومن المفسرين من قال إن المراد بقوله تعالى : ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ : هو محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ، وأمينه على رسالته إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، ولم يصرفها إلى جبريل عليه السلام ، ويكون المعنى :

إن محمداً صلى الله عليه وسلم «ذى قوة » على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وهو « مطاع » أى يطيعه من أطاع الله عز وجل ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **أمين** ﴾ . وقد وصف بالأمانة حتى عند خصومه وأعدائه .

[١٨] وقال عليه الصلاة والسلام : « والله إنى لأمين فى الأرض أمين فى السماء » .

التفضيل بين الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام :

وددت هنا أن أذكر شيئا ولو يسيرا مما جاء حول هذه المسألة وهى التفضيل بين رسل الله وملائكة الله عزوجل ، وللمعتزلة رأى خاص ، كما أن لأهل السنة أدلتهم وآراءهم فى الرد على المعتزلة فى هذه المسألة بالذات .

جاء فى « حاشية الانتصاف على الكشاف »[1] للشيخ أحمد ابن المنير الإسكندرى رحمه الله قال : اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير إلى أن المراد بالرسول الكريم ههنا إلى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فإن يكن كذلك - والله أعلم - فذلك فضل الله المعتاد على نبيه ، وإن كان المراد جبريل عليه السلام ، فقد اختلف الناس فى المفاضلة بين الملائكة والرسل ، والمشهور عن

---

[١٨]حسن بطرقه . أخرجه البزار (١٣٠٤ -- كشف) والطبرى (٢٣٥/١٦) وغيرهما ، وله طريق آخر عند الطبرى ، وثالث عند أبى يعلى ، ولا يخلو من ضعف .

(١) (٥٦٨/٤) . (ص) .

أبى الحسن [١] تفضيل الرسل ، ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة ، إلا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل ، لأن التفضيل وإن كان ثابتا إلا أن فى التعيين إيذاء للمفضول ، وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم

[١٩] « لاتفضلونى على يونس بن متى » أى لا تعينوا مفضولا على التخصيص لأن التفضيل على التعميم ثابت بإجماع المسلمين . أى تفضيل النبىّ صلى الله عليه وسلم – على النبيين أجمعين .

ثم قال رحمه الله : إذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز إطلاق التفضيل على التخصيص ، علمت أن

---

(١) هو العلامة إمام المتكلمين ، أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى من سلالة أبى موسى الأشعرى الصحابى الجليل . ترجمته فى «النبلاء» (١٥/٥)

[١٩] قال السيوطى فيمناهل الصفا (٢٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، والذى فى البخارى (٣٤١٢) عن ابن مسعود رضى الله عنه : «لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى» أ هـ .

قلت : روية أبى داود إسنادها حسن لو صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وانظر دلائل النبوة (٥/٤٩١ – فما بعدها) البيهقى .

الزمخشرى أخطأ على أصله لأنه بتقدير أن تكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال : أحد من الملائكة على التخصيص إنه أفضل من أحد الأنبياء على التخصيص ، لا سيما فى سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم أن المراد جبريل وبعد أن نكله - فى تعيينه النبى صلى الله عليه وسلم وعده مفضولا - إلى الله فنقول : لم يذكر فى هذه الآية نعت - من النعوت الخمسة - إلا وللنبى صلى الله عليه وسلم مثله أولها « رسول كريم » : فقد قال فى حقه صلى الله عليه فى آخر سورة الحاقة : ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ (الحاقة : ٤٠) وقد قيل أيضا : إن المراد جبريل - إلا أنه يأباه .... إلخ انتهى .

ونكتفى بهذا المقدار فى هذه المسألة والحمد لله أولا وآخرا .

﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ :

صاحبهم هنا هو نبينا وحبيبنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وقد نفى عز وجل عنه صفة الجنون ، لأن بعض مشركى قريش كان يرميه بذلك عندما سمعوا منه صلى الله عليه وسلم غريب الأخبار عن يوم القيامة وأحوالها وأهوالها ، وغير هذه

الأخبار من مواطن الصبر فى كتاب الله المنزل على رسوله الأمين ، فرد الله عليهم حينما قالوا عنه معلم مجنون . وما صاحبكم أيها الناس بمجنون . فيتكلم عن جنة ويهذى هذيان المجانين ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين وحكى الله عنهم هذا الوصف لنبيهم وصاحبهم فى أكثر من موضع من كتاب الله: **﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم مِن جنّة إنّ هو إلا نذير مبين﴾** (الأعراف : ١٨٤) وقال تعالى : **﴿أنّى لهم الذّكْرَى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تَولوا عَنْه وقالوا مُعَلّم مجنون﴾** (الدخان : ١٣- ١٤) وقال تعالى: **﴿قُلْ إنما أعظكم بواحدة أن تَقوموا لله مَثْنَى وفرَادى ثُمّ تتفكروا ما بصاحبكم مِن جِنّة إنْ هو إلا نذير لكم بين يَدَىْ عذاب شديد﴾** (سبأ : ٤٦) .

وفى التعبير عنه صلى الله عليه وسلم « بصاحبهم » أبلغ فى الاستدلال عليهم وإقامة الحجة على كذبهم فى دعواهم ، فإنه عليه الصلاة والسلام نشأ معهم ، وعاش بينهم من صغره إلى كبره وما عرفوا عنه إلا كمال العقل ، والتبريز فى الفضل ، والرجاحة فى العقل ، والحصافة فى الرأى ، فكيف يوصف بالجنون عندما يدعى الرسالة من ربه ، ويبلغ الأمانة التى أرسلت إليه من الخالق عز

وجل؟ وأنتم أيها المشركون قد خالطتموه وعاشرتموه ، وعرفتم عنه ما لم يعرفه سواكم من استقامة لهجة ، وكمال عقل ، ووفور حلم ، وتفوق على جميع الأنداد والأتراب فى صفات الخير ، لذا فهو صاحبكم وأنتم أعرف الناس به ، وفى التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم على ما هو الحق ، تكذيب لهم بألطف وجه ، إذ هو إيماء إلى أنه عليه الصلاة والسلام نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن ، وأنتم أعرف به ، وبأنه صلى الله عليه وسلم أتم الخلق عقلا ، وأرجحهم قيلا ، وأكملهم وصفا ، وأصفاهم ذهنا ، فلا يسند إليه الجنون إلا من هو مركب من الحمق والجنون . انتهى .

﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ :

أى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد رأى جبريل عليه السلام بالأفق الأعلى ، وقد تمثل جبريل فى مثال يظهر ويبصر فتجلى لعينيه ، وأعلم أنه جبريل فعرفه .

وقد ذكرت هذه الرؤية فى سورة النجم فى قوله تعالى : **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى.أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾** (النجم : ١١– ١٤).

وقال القرطبى رحمه الله فى تفسيره : أى رأى جبريل فى صورته ، له ستمائة جناح ﴿بالأفق المبين﴾ أى بمطلع الشمس من قبل المشرق ، لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين أى من جهته ترى الأشياء ، وقيل الأفق المبين أقطار السماء ونواحيها .

قال الشاعر :

أخذنا بآفاق السماء عليكمو لنا قمراها والنجوم الطوالع

فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل ، أحدها أنه رآه فى أفقالسماء الشرقى – قاله سفيان . والثانى فى أفق السماء الغربى – حكاه ابن شجرة. الثالث : أنه رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة – قاله مجاهد .

[٢٠] وحكى الثعلبى عن ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل : « إنى أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء ، قال : لن تقدر على ذلك . قال : بلى . قال : فأين

---

[٢٠] ضعيف جدا . وأخرجه عن الثعالبى : البغوى فى تفسيره (٤/٤٥٤) ، وفى اسناده إسحاق بن بشر ، وهو كذاب متروك . وانظر لسان الميزان (١/٣٥٤) وغيره .

تشاء أن أتخيل لك ؟ قال : بالأبطح . قال : لا يسعنى . قال : فبمنى . قال : لا يسعنى . قال : فبعرفات . قال : ذلك بالحرى أن يسعنى » . فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم للوقت . فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات ، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه ، فتحول جبريل فى صورته وضمه إلى صدره .

وقال : يامحمد لا تخف ، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة ، وإن العرش على كاهله ، وإنه ليتضاءل أحياناً من خشية الله يصير مثل الوضع – يعنى العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته .

وقيل أيضا فى معناه : أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالأفق المبين على ما ورد فى سورة النجم ، إذ قال الله عز وجل : ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كَذَب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نَزلَةً أخرى . عندَ سِدْرَةِ المُنتهى . عندها جَنّةُ المَأوَى . إذْ يَغْشَى السّدْرَةَ ما يغْشَى .

ما زاغ البَصَرُ ومـا طَغَى لقَدْ رأى مِن آيات رَبّه الكُبْرَى﴾ .
(النجم: ١٠- ١٨) .

﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ :

ضنين : قوى بالظاء والضاد والمعنى على القراءة الأولى

[ظنين] وما محمد صلى الله عليه وسلم بالمتهم على القرآن ، وما فيه من قصص وأنباء وأحكام ، بل هو ثقة أمين لا يأتى به من عند نفسه ولا يبدل منه حرفا بحرف ، ولا معنى بمعنى ، إذ لم يعرف عنه الكذب فى ماضى حياته ، فهو غير متهم فيما يحكيه من رؤية جبريل وسماع الشرائع منه والظنة فى اللغة بمعنى التهمة ، فهو صلى الله عليه وسلم غير متهم بل صادق أمين ، ونبى كريم ورسول حكيم .

على القراءة الثانية « ضنين » أى أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يبخل بما يأتيه من الوحى ، ولا يقصر فى تبليغه . روى ابن أبى نجيح عن مجاهد : لا يَضِن عليكم بما يعلم الخلق كلام الله وأحكامه .

قال الشاعر :

أجود بمكنون الحديث وإننى بسرك عمن سالنى لضنين

[والغيب] : القرآن وخبر السماء ، قيل هو الوحى وما يأتى به من ربه عز وجل ، وسمى الوحى غيبا لأنه لا يعرفه أحد ، ولا يفهم حقيقته من البشر أحد إلا الذى يوحى إليه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، والرسول الأمين غير متهم ولا ببخيل فيما أنزل الله له من غيث رحمته ، وفيض نوره سبحانه الذى أشرق على قلب محمد ، فأشرقت له الدنيا وجاد به على الناس أجمعين ، ولم يترك صلى الله عليه وسلم معروفا إلا علمنا إياه ، ودعانا إليه ، كما لم يترك منكرا إلا حذرنا منه ونهانا عنه ، فهو عليه السلام النبى الكريم ، والرسول الرحيم ، بالناس أجمعين و جزاه الله عنا خير ما يجزى نبيا عن أمته .

﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ :

هنا نفى الرب تبارك وتعالى فرية أخرى كانرا يشيعونها ويتقولون بها على النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ قالوا : كاهن وقالوا : قول شيطان رجيم ، فرد الله عليهم بهذه الآية : فقال :

وما هذا الذى يتكلم به محمد بقول ألقاه الشيطان على لسانه حيث خالط عقله كما تزعمون ، فإنه عرف بصحة العقل وبالأمانة على الغيب ، فلا يكون ما يحدث به من خبر الآخرة والجنة والنار من قول الشياطين ، بل هو تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ليكون من المنذرين .

وقد حكى الله عز وجل الكثير من شأن الأمم مع أنبيائهم ، وأنهم رموهم بالسحر والجنون والكهانة وقول الزور .

قال تعالى : ﴿**كذلك ما أتى الذين مِن قبلهم مِن رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**﴾ . (الذاريات : ٥٢) .

قال القرطبى رحمه الله فى تفسيره :

﴿**وما هو**﴾ : يعنى القرآن ﴿**بقول شيطان رجيم**﴾ أى مرجوم ملعون كما قالت قريش .

قال عطاء : يريد الشيطان الأبيض الذى يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة جبريل ، يريد أن يفتنه . قال تعالى : ﴿**وما تَنَزّلتْ به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون**﴾ .(الشعراء : ٢١٠-٢١٢) .

﴿ فأين تذهبون ﴾ .

أى : فأى سبيل تسلكونها بعد كتاب الله ، وبيان رسوله الأمين ، وقد سدت عليكم السبل ، وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ، وبطلت مفترياتكم ، فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها .

قال قتادة : قال : أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته . وقال الزجاج : فأى طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم .

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية : ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ : أى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبه بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه حقاً من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الكذاب الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة . فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ، والله إن

هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ (١) أى من إله . فهى دعوة عالمية من أول مراحلها والدعوة فى مكة محاصرة مطاردة ، فسبحان الملك العظيم .

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ :

آية تبين حقيقة القرآن العظيم ، أى أن هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ، وهو للخلق كافة عظة وعبرة يتذكرون به ما غرز فى طباعهم من حب الخير . وإنما أنساهم ذكره ما طرأ عليهم بمقتضى الإلفة والعادة من ملكات السوء التى تحدثها أمراض البيئة والمجتمع والقدوة السيئة ، فإذا سلمت نفوسهم من هذه الأمراض وعادت إلى فطرتها السليمة نظرت فاعتبرت ، وذكرت فشكرت ، وسمعت فاهتدت وأطاعت ربها رب العالمين ، ثم بين الله عز وجل أنه ينتفع بهذا النظم العظيم كل العالمين . فقال تعالى بعد هذه الآية :

---

(١) إلّ : «الإلّ» بالكسر هو الله تعالى ، وقيل : «الإلّ» هو الأصل الجيد أى لم يجيء من الأصل الذى جاء منه القرءان ، وقيل «الإلّ» النسب والقرابة . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر عن مناسبة الحق والإدلاء بسبب بينه وبين الصدق أ هـ من النهاية (إلّ) .

﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ :

أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه ، وهذا القرآن ذكر يتذكر به من وجه إرادته للاستقامة على طريق الحق والصواب . أما من انحرف عن ذلك فلا يؤثر عليه هذا الذكر ، ولا يخرجه من غفلته ، فعلى مشيئة المكلف تتوقف الهداية ، وقد فرض عليه أن يوجه فكره نحو الحق ، ويطلبه ويجد فى كسب الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وله عقل وإدراك يميز به بين الخير والشر ، فعليه أن يجد فى طلب الهداية حتى يدركها إن شاء الله له ذلك .

قال سفيان الثورى : عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان ابن موسى : لما نزلت هذه الآية : **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾** قال أبو جهل : « الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم » فأنزل الله تعالى :

﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ :

أى ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدى ، ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين .

قال القرطبى رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية : فبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيراً إلا بتوفيق الله ، ولا شراً إلا بخذلانه . وقال الحسن : والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها.

وقال وهب بن منبه : قرأت فى سبعة وثمانين كتابا مما أنزل الله على الأنبياء : من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . وفى التنزيل ﴿**ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله**﴾ (الأنعام : ١١١) .

وقال تعالى : ﴿**وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله**﴾ (يونس : ١٠٠) .

وقال تعالى : ﴿**إنك لاَ تهْدىِ مَنْ أحببت ولكنّ الله يهَدْىِ مَن يشاء**﴾ . [القصص : ٥٦] .

والآيات فى هذا كثيرة وفيرة ، ولا بد من إقرار هذه الحقيقة فى تصور المؤمنين ليدركوا ما هو الحق لذاته ، وليلتجئوا إلى المشيئة الكبرى يطلبون عندها العون والتوفيق ، ويرتبطون بها فى كل ما يأخذون وما يدعون فى حياتهم ، فالأمر كله لله ، والله هو القابض

والباسط وهو الهادى إلى سواء السبيل ، وقد علمنا الله أن نطلب الهداية منه بعد أن نتوكل عليه وحده ونستعين به وحده . هذا مطلبنا الدائم فى وردنا اليومى الذى نتلوه صباح مساء فى صلواتنا: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** (الفاتحة : ٦– ٧).

آمين والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم بمراده.تم تفسير سورة التكوير .

* * *

سورة الانفِطَار

مكية وآياتها ١٩ ، تسع عشرة آية

قال الله تبارك وتعالى :

﴿إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت . يأأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون. إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم . يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين . وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾

صدق الله العظيم

المقـــــدمة

لقد تقدم

[٢١] حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« مَنْ سَرّه أنْ ينظر إلى القيامة رأيِ عَيْن فليقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ و ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾ . وقد كان الكلام فى السورة السابقة ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ عن أهوال يوم القيامة وأحوالها . وهنا فى سورة الانفطار افتتح الله سبحانه هذه السورة بمثل ذلك ، ليتصل الكلام بها اتصال النظير بالنظير ، والشبيه بالشبيه .

وتتضمن هذه السورة الكلام على البعث والتذكير بيوم القيامة ، وإن النفس تشهد فيه ما علمت . ثم ناقشت الإنسان فى شأن مخالفته لربه وتماديه ، فى فجوره . مع أنه عز وجل صاحب نعم جليلة عليه ، وقد جعل له شهودا عليه أو له . وهم عدول ، وهم كذلك كرام كاتبون ، يعلمون كل ما يفعل ، ويسجلون كل ما

[٢١] حسن . تقدم برقم (٤) .

يصنع فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ثم تكون النهاية لكل إنسان . إما الجنة ، وإما النار ، والأمر يومئذ لله .

والقرآن العظيم كثيراً ما يذكرنا بيوم القيامة ، وإن الإنسان فيه يشهد ما قدمته يداه من خير أو شر ، وسيجازى عليه ، ويقدم لذلك بعض أهوال يوم القيامة .ليجذب قلب السامع إلى دائرة الاتعاظ والتهويل والتفهيم ، والله عليم حكيم ، يعلم ما يصلح عباده فيدعوهم ويأخذهم بأسباب الصلاح والإصلاح . وقد ذكر فى هذه السورة أمرين علويين هما : انفطار السماء ، وانتشار الكواكب ، وأمرين سفليين هما : تفجير البحار ، وبعثرة القبور .

ثم أبان الله عز وجل أنه فى ذلك اليوم تتجلى للنفوس أعمالها على حقيقتها ، فلا ترى خيرا فى صورة شر ، ولا تتخيل شراً فى مثال خير ، كما يقع فى الدنيا لكثير من النفوس البشرية ، فيعرف أهل الخير يومئذ أنهم وإن نجوا مقصرون ، فيأسفون على ما تركوا ، ويستبشرون بما عملوا ، وبعض أهل السوء يظهرون الندم يوم لاينفع الندم ، ويوقنون بسوء المنقلب ، ويتمنون أن لو كانوا تراباً ، حيث يقول الكافر يومذاك : ﴿ **ياليتنى كنتُ ترابا** ﴾ . النبأ : ٤٠) .

التفسير :

﴿إذا السماء انفطرت﴾ :

أى تشققت بأمر الله سبحانه وتغير نظامها ، فلم يبق نظام الكواكب على ما نراه عليه اليوم ، بل تحول وتبدل وذلك عند خراب هذا العالم بأسره ، وخرابه مقدمة لقيام عالم الآخرة ، وقال القرطبى رحمه الله فى تفسيره : « أى تشققت بأمر الله لنزول الملائكة ، كقوله : **﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونُنزلَ الملائكةُ تنزيلا﴾** .(الفرقان : ٢٥) وقيل : تفطرت لهيبة الله تعالى . والفطر : الشق .

وورد مثل هذه الآية قوله تعالى : **﴿فإذا انشقت السماءُ فكانت وَرْدَةً كالدِّهَانِ﴾** . (الرحمن : ٣٧).

وقال تعالى : **﴿وفُتحت السماءُ فكانت أبوابا﴾** (النبأ : ١٩).

﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ :

أى سقطت وتفرقت وبادت . وهذا يجىء تابعا لما قبله ، إذ

متى انشقت السماء ونقض تركيبها ، واختل نظامها . وانتثرت كواكبها ، وسقطت أجرامها ، وتغير حالها من حال إلى حال ، وإذا كان ذلك اضطربت الأرض أيضا وزلزلت زلزالا شديدا ، ووقع الخلل فى جميع أجزائها ومرافقها ، فتفجر البحار وتزول الحواجز بينها ، فيختلط عذبها بمالحها ، بل تفيض على الأرض حتى يصير سطح الأرض ماء لحظات من الزمن ، كما ذكرنا ذلك فى سورة التكوير عند قوله : « وإذا البحار سُجِّرت » أى ملئت وفاض ماؤها لاضطراب الأرض ، وزلزالها الشديد ، ووقوع الخلل فى جميع أجزائها .

والخلاصة : أن هذا العالم تزول حقائقه وتتبدل أحواله ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيْرَ الأرضِ والسمواتُ﴾ (إبراهيم : ٤٨) .

﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ :

قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس : فجر الله بعضها على بعض

وقال الحسن : فجر الله بعضها على بعض فذهب ماؤها .

وقال قتادة : اختلط عذبها بمالحها . ذكره ابن كثير فى تفسيره رحمه الله .

وقال الألوسى رحمه الله فى تفسيره : فتحت وشقت جوانبها فزال ما بينها من البرزخ ، واختلط العذب بالأجاج ، وصارت بحرا واحدا . وروى أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية أى فى الماء .

وأريد أن البحار تصير واحدة أولا ، ثم تنشف الأرض جميعا فتصير بلا ماء ، ويحتمل أن يراد بالاستواء بعد النضوب عدم بقاء مغايض الماء ، لقوله تعالى : ﴿**لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتًا**﴾ . [طه: ١٠٧] .

وهذه الحوادث والأشياء والأهوال كلها بين يدى الساعة كما تقدم ذلك فى سورة التكوير . ومشاهد هذه السورة تتمة لتلك التى مرت وذكرت فى قوله تعالى : ﴿**إذا الشمس كورت . وإذا**

النجوم انكدرت﴾ إلى آخر السورة ، والله أعلم .

﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ :

أى أثيرت وقلبت ترابها الذى جثى على موتاها وأزيل عنهم وأخرج من دفن بعد أن قلب أسفلها أعلاها ، وباطنها ظاهرها ، ويخرج الموتى من قبورهم وينتشرون فى أرض المعاد بين يدى رب العباد ، وتخرج الأجساد التى أعادها الله ، وأعاد إنشاءها - كما أنشأها أول مرة - لتتلقى حسابها وجزاءها على النقير والقطمير[١] **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** . (الزلزلة : ٧- ٨) .

يؤيد هذا ويتناسب معه قوله تعالى بعد عرض هذه المشاهد والأحداث الجسام .

﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ :

---

(١) النقير والقطمير : النقير : النكتة فى ظهر النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة التى على النواع كاللفافة لها . (مصباح) .

فى هذه الآية ترغيب فى الطاعة ، وأنها ستكون سببا فى عمل صالح يكون شافعا له بين يدى رب العزة والجبروت : ﴿يَوْمَ لايَنفع مال ولا بنون . إلاّ مَنْ أَتَى الله بقلبٍ سلِيم﴾ . (الشعراء : ٨٨- ٨٩) .

كما فيها زجر عن المعاصى ، فإن المرء إذا تحقق أنه سيعلم كل شىء عن معاصيه ، وأنها ستكون سبب خزية وعذابه يوم العرض الأكبر ، ولاشك أنه سيقلع عنها ويخشى الفضيحة الكبرى فى ذلك اليوم العصيب .

ومعناها أن يعلم كل نفس من الأنفس البشرية كل ما قدمته من أعمال الخير والبر والإحسان ، وما أخرت منها بالكسل والإهمال والتسويف من يوم إلى آخر ، حتى حلت الآجال وانقطعت الأعمال وخالت الآمال : ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ . (النحل : ٣٣) .

﴿ ياأيهاالإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ :

هذا المقطع الثانى فى هذه السورة العظيمة ، وقد بدأ الله سبحانه فى هذا المقطع العتاب لهذا الإنسان المغمور بفضل الله ،

والمشمول برحمته وبره وإحسانه ، وهذا العتاب فيه معنى التهديد لهذا الإنسان الذى يتلقى من ربه ، فيعرض النعم فى حياته وفى رزقه ، وفى شأنه كله ، ولكن هذا الإنسان لا يعرف للنعمه حقها ، ولا يعرف لربه قدره وفضله ، ولا يشكر على الفضل والنعمه والكرامة : ﴿**يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك**﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية الكريمة : هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال « الكريم » حتى يقول قائلهم « غره كرمه » – بل المعنى فى هذه الآية : ما غرك ياابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق .

[٢٢] كما جاء فى الحديث : يقول الله تعالى يوم القيامة :

---

[٢٢] موقوف . ظاهر لفظ الحافظ ابن كثير يوهم أن الحديث مرفوع ، وليس كذلك ، بل هو موقوف على ابن مسعود رضى الله عنه ، وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٣١/١) ، وهكذا ذكره القرطبى فى تفسيره (١٦١/١٩) ، والله أعلم – وسينقله المؤلف هنا عن القرطبى بعد قليل .

ياابن آدمَ ما غَرّك بى ؟ ياابن آدمَ ماذا أَجَبْتَ المرسلين؟ ثم قال :

[٢٣] وقد حكى البغوى عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ، ضرب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى : ﴿**ما غرك بربك الكريم**﴾ .

[٢٤] ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لما تلى هذه الآية : (ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) قال : « غره جهله » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن هذه الآية : غره حمقه وجهله. وقرأ : ﴿**إنه كان ظلوما جهولا**﴾. (الأحزاب : ٧٢).

---

[٢٣] ضعيف جدا . تفسير البغوى (٤/٤٥٥) ، والكلبى ومقاتل كلاهما متهم - بالكذب - ثم هو معضل ، فالكلبى من الطبقة السادسة ، ومقاتل من السابعة .

[٢٤] ضعيف . أخرجها أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائل القرآن (ص٧١) وإسناده ضعيف ، صالح بن مسمار مقبول - أى حيث يتابع - ، وهو أيضا معضل ، فصالح من الطبقة السابعة ، والله أعلم .

وقال الحسن : غره شيطانه الخبيث ، أى زين له المعاصى وقال له : افعل ما شئت ، فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به أولا ، وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة ، فيقول : ياابن آدم ما غرك بى ؟ ياابن آدم ماذا عملت فيما علمت : ياابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟

وقال الإمام على كرم الله وجهه : كم مغرور بالستر عليه ، ومستدرج لالإحسان إليه .

وقيل للفضيل بن عياض : إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك : ﴿ما غرّك بربك الكريم﴾ . ماذا تقول ؟

قال : أقول : غرتنى ستورك المرخاة .

وهذا بالطبع على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر ، وليس بالاعتذار كما يظنه البعض ، فمن يتعللون بكرم الله وعفو الله ، ويفعلون ما يفعلون من المعاصى والذنوب والفسوق والعصيان وما علموا أن الله يحاسب على الذنب ، بل يحاسب على النقير والقطمير و ويأخذ الناس بذنبه ، ولا يظلم ربك أحدا

وقد نظم ابن السماك الذى ذكره الفضيل بن عياض فقال :

ياكاتم الذنب أما تستحى والله فى الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

وأنشد أبو بكر طاهر الأبهرى :

يامن غلا فى العجب والتيه وغره طول تماديه
أملى لك الله فبارزته ولم تخف غب[1] معاصيه

وهنا أردت أن أنقل ما قاله الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير جزء « عم » عند تفيسره لهذه الآية : ﴿ **ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ ليرد به على أولئك الذين صرفوا معنى هذه الآية على غير وجهه فقال : جرت العادة بأن كرم السيد يخدع العبيد ، فإذا أمر تهاونوا فى الإجابة إلى أمره ، وإذا نهى تغافلوا نهيه ، وتمادوا فى لزوم ما نهى عنه ، والوقوع فيما حذر منه ، ويروى عن على كرم الله وجهه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه ، فنظر فإذا هو بالباب فقال : ما لك لم تجبنى ؟ قال : لثقتى بحلمك، وأمنى من عقوبتك . فاستحسن جوابه وأعتقه .

(١) غب : الغب من كل شىء : عاقبته وآخره . (الوسيط) .

وقالـوا : من كرم الرجل سـوء أدب غلمانه ، وعلى هذه العادة اتكأ بعض من ضرب بينه وبين معنى الخطـاب بحجاب أى حيث قال : إن الله جل شأنه قد ألهم المخاطب الجـواب ، فلعبده أن يجيبه بقـوله : غـرنى كـرمك . ولا يخـفى أن هذا تلاعب بالتـأويل ، وتضليل للناظر فى كتاب الله أى تضليل ، كيف يخطر يبال عاقل أن يقول ذلك فى مـعنى أبلغ الكلام ، وهو صادر فى مقام التـهويل والإرهاب ، والتخويف من الحساب أو شدة العقاب ؟ وسد السبل وإغلاق الأبواب على أولئك الجاحديـن الذين قرعوا بهذا الخطاب ، ولكن اسمع ما يليق بالمقـام الكريم : وصف الكريم ليس خصاصا ، بمعنى الرحيم والواسع والعطاء والمحسن والغـافر للذنب ، بل قد جاء فى القرآن وصفـا للرزق وللكتاب ، وللرسول ، وللعـرش وللمقام ، وللمدخل ،وللقول ، وللأجر ، ولاريب أنه فى كل مقام يفيد المعنى الذى يناسـبه والأصل فى معنى الـكريم الكمال فى الوصف والبـعد والتقصى ، ولقد فـسروا « الكريم » بالعظيم فى قوله تعالى : (رب العرش الكريم) فى سورة المؤمنين . وهـو الأنسب للمقام والخطاب

– فى سورتنا هذه . فكأنه يقول : ما غرك بربك العلى العظيم الذى قد علا فى ذاته وصفاته عن كل ما يوهم نقصاً أو عيبا ، فهل يمكن للرب العلى البالغ الغاية فى الكمال أن يترك عبيده سدى . وأن يهمل ولا يعد لهم ما يردعهم لمن فعل القبيح ، ولا يهزهم إلى الحسن ، كلا إن اللائق بعلوه وسموه وكرم مقامه العلى أن يفيض نعمه على أهل الصالحات ، ويصب نقمه على مجترحى السيئات . تفضلاً منه على الأولين ، وحكمة فائقة فى التنكيل بالآخرين ومثل هذا يقول الحكيم يرد على أولئك : إن الذين غرهم بالله ، فأغواهم وأرداهم النار بئس الورد المورود .

بمثل هذا يرد على أولئك الذين يحاولون أن يبرروا ارتكابهم للمعاصى ، وعصيانهم لله لأن الشيطان قد أغواهم فقال لهم وهم تلاميذه : افعلوا ما شئتم فإن ربكم كريم ، وقد تفضل عليكم فى الدنيا بالستر والعافية والخير الوفير ، وسيفعل معكم ذلك فى الآخرة ، فلا تخافوا عذابه ولا عقابه ، فهو كريم ورب رحيم ، فكيف يعذبكم بذنوبكم وهو غفار الذنوب ؟ بمثل هذا يغويهم

ويغرهم بالله الغرور ، عليه لعنة الله حتى أنطق هذا الشيطان الرجيم بعض شـياطين الإنس بمثل قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا ستلقى فى غد رباً غفورا

تعـض ندامـة كفـيك مما تركت مخافة الذنب السرورا

نعوذ بالله من شـر الشيطان وشركه ومن تلبيسه وغشـه ، فالله تبارك غفـور رحيم حقاً وصـدقاً ، ولكنه جل وعلا شديـد العقاب خلق الجنة للمتقين ، وخلق النار للمجـرمين ، والله يفعل ما يشاء لا معـقب لحكمـه ، ولا راد لأمـره : ﴿ **لا يُسـئل عَمّا يَفْعَل وهم يسألون** ﴾ . (الأنبياء : ٢٣) .

﴿ **الذى خلقك فسواك فعدلك** ﴾ :

أيهـا الإنسـان ما الذى غـرك بربك الكريم العـظيم الذى خلقك فسـواك فعدلك ، أى جعلك إنسـانا سويا مسـتقيمـا معتدل القـامة منتصبها فى أحسن الهيئات والأشكال والصور .

والله تبـارك وتعـالى وصف بالكرم – مـا غـرك بربك الكريم ،

ذكر هنا الأمور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم أولها : قوله: ﴿ **الذى خلقك** ﴾ ولا شك أنه كرم وجود ، فقد تكرم الله على الإنسان ، فأوجده وخلقه فى أحسن تقويم ، والوجود خير من العدم، والحياة خير من الموت ، وهو الذى قال : ﴿**كيف تكفرون بالله وكُنتم أمواتًا فأحياكم**﴾ . (البقرة : ٢٨) .

وثانيهما : قوله ﴿ **فسواك**﴾ أى جعلك سويا سالم الأعضاء تسمع وتبصر ، ونظيره قوله تعالى : ﴿**أكفرتَ بالذِي خلقك مِن تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا**﴾ . (الكهف :٣٧) .

قال ذو النون – كما نقله الإمام الرازى رحمه الله – سواك أى سخر لك المكونات أجمع ، وما جعلك مسخراً لشىء منها ، ثم أنطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل ، وروحك بالمعرفة ، وسرك بالإيمان ، وشرفك بالأمر والنهى ، وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا .

وثالثهما : قوله تعالى : ﴿ **فعدلك**﴾ . قال مقاتل : يريد عدل

خلقك فى العينين ، والأذنين ، واليدين والرجلين ، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أوسع وهو كقوله تعالى : ﴿**بلى قادرين على أن نسوى بنانه**﴾ . (القيامة : ٤) .

وتقريره ما عرف فى علم التشريح - كما نقله الإمام الرازى من أنه سبحانه ركب جانبى هذه الجثة على التساوى ، حتى أنه لاتفاوت بين نصفيه لا فى العظام ، ولا فى أشكالها ، ولا فى ثقبها، ولا فى الأوردة والشرايين، والأعصاب النافذة فيها ، والخارجة منها .

قال عطاء عن ابن عباس : جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المحنية . وقال أبو على الفارسى : عدل خلقك فأخرجك فى أحسن تقويم . وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعدا لقبول العقل والقدرة والفكر وصيرك بسبب ذلك مستوياً على جميع الحيوانات والنباتات وواصلا بالكمال إلى ما لله ، والذى أوجدته قدرة الله سبحانه وتعالى .

ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره . قال : [أى جعلك سويا مستقيما ، معتدل القامة منتصبها ، فى أحسن الهيئات والأشكال].

[٢٥] قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا جرير ، حدثنا عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير ، عن بسر بن جَحّاش القرشى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما فى كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال : « قال الله عز وجل : يابن آدم أنى [1] تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا

---

[٢٥] حسن . أخرجه أحمد (٤/٢١٠) ، وابن ماجة فى الوصايا (٢٧٠٧)، وابن سعد (٧/٢/١٤٢) ، وابن أبى عاصم فى الأحاد والمثانى (رقم= =٨٦٩) ، والحاكم (٢/٥٠٢) ، والطبرانى فى الكبير (٢/رقم ١١٩٣ ، ١١٩٣) ومسند الشاميين (رقم ٤٦٩ ، ١٠٨٠) ، وأبو نعيم فى فضائل الصحابة (رقم ١٢٠٠ ، ١٢٠١) ، وقد صححه الحاكم والبوصيرى وغيرهما .

قلت : مدار الحديث على عبدالرحمن بن ميسرة ، وهو حسن الحديث إن شاء الله . انظر ترجمته فى التهذيب (٦/٢٨٤) – ثم وجدت الشيخ الألبانى حكم على الحديث بالحسن فى «سنن ابن ماجة» ، والسلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩٩) – فالحمد لله .

(١) أنى : استفهام عن الجهة ، تقول : أنى يكون هذا ، أي من أى وجهة وطريق . (مصباح) .

بلغت التراقى ، قلت أتصدق وأنىّ أوان الصدقة » ؟ .

وعدلك : ورد بـالتشديد إذ قـرأ غيـر واحد من القـراء السبـعة : «عدلك » . ومعناه : صيرك معـتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه .

وقد قيل عن بعضـهم : إن « عدل » وعدل بمعنى واحد . وخلق الإنسان على هذه الصـورة الجميلة السويـة المعتدلة الرشيـقة الكاملة الشكل والوظيفـة ، أمر يستـحق التدبير الطويل ، والشكر العـميق ، والحمـد والثناء والحب الخالص للرب الكريم العظيم الجـليل ، أكرمنا بهذه الخلقة تفضلا منه ورعاية ومنة ، فقد كان جل جلاله قادرا أن يركبنا فى أية صورة أخرى يشاؤها ، فـاختار هذه الصورة السوية الجميلة المعتدلة .

والإنسان مخلوق جميل التكوين ، سوى الخلقـة معتدل القامة، وإن عـجـائب الإبداع فى خلق الإنسـان لأضـخم وأعظم من إدراك هذا الإنسان نفسه . وجمال هذا الإنسان يبدو فى تكوينه الجسدى وفى تكوينه العقلى ، وفى تكوينه الروحى سواء بسواء والعجائب فى هذه الأجـهـزة التى خلقـهـا الله فى هذا الإنسـان ، وهى تعـمل

عملها ليل نهار من غير أن يحس الإنسان بأدائها لوظيفتها وعملها فيما خلقت له ، وهذه الأجهزة العامة التى أوجدها الله لتكوين الإنسان الجسدى ، الجهاز العظمى ، والجهاز العقلى ، والجهاز الجلدى ، والجهاز الهضمى ، والجهاز الدموى ، والجهاز التناسلى ، والجهاز اللمفاوى ، والجهاز العصبى ، والجهاز البولى ، وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر.

كل جهاز من هذه الأجهزة عجيبة من عجائب خلق الله ، لاتقاس إليها كل العجائب والمخترعات الصناعية التى يقف بعض الناس مدهوشين أمامها ، وينسى هذا الإنسان عجائب ذاته وغرائب نفسه وهى أضخم وأعمق وأدق وأكبر من كل العجائب ، ومن عجائب خلق الإنسان اليدان ، ومن المستحيل أن تبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف ، واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة ، وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منها .

وإن جزءا من أذن الإنسان « الأذن الوسطى » هو سلسلة من

نحو أربعة آلاف حنية « قوس » دقيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ فى الحجم والشكل .

ومركز حاسة الإبصار فى العين التى تحتوى على مائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء وهى أطراف الأعصاب ، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذى يقيها ليلا ونهارا ، والذى تعتبر حركته لا إرادية .

﴿ فى أى صورة ما شاء ركّبك ﴾ :

أى إن الله تبارك وتعالى ركبك أيها الإنسان فى أى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته ، من الصور المختلفة فى الحسن والقبح ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة ، والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه . فالله سبحانه وتعالى يقدر على جعلك كيف شاء ، ولكنه عز وجل خلقك فى أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التى أنت عليها ، لا يشبهك شىء من الحيوان وغير الحيوان .

قال عكرمة وأبو صالح : **﴿فى أى صورة ما شاء ركبك﴾** أى

إن شاء فى صـورة إنسان ، وإن شاء فى صورة حـمار ، وإن شاء فى صورة قرد ، وإن شاء فى صورة خنزير .

قال مكحول : إن شاء ذكراً ، وإن شاء أنثى .

وقال مجاهد : ﴿ **فى أى صورة** ﴾ فى أى شبـه من أب وأم ، أو عم أو خال ،أو غيرهم .

وقال قتادة : ﴿**فى أى صورة ما شاء ركبك**﴾ قال : قادر والله ربنا على ذلك .

ومعنى هذا القول عند هؤلاء : إن الله عز وجل قـادر على خلق النطفـة على شكل قـبيح من الحـيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحكمه يخلقه على شكل حسن مـستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة .

[٢٦] روى ابن جـرير قال : حـدثنى مـحمـد بن سنان القـزاز

[٢٦] ضعيف جدا . الطبرى (٨٧/٣٠) ، وقد أخرجه أيضا ابن أبى حاتم والطبرانى (٥/ رقم ٤٦٢٤) ، وابن أبى عاصم (٢٥٤٩) مختصرا – وغيرهم . قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٥/٧) : فيه مطهر ابن الهيثم وهو متروك أ هـ قلت : وبه أعله ابن كثير فى تفسيره (٤٨٢/٤).

حدثنا مطهر بن الهيثم ، حدثنا موسى بن على بن رباح ، حدثنى أبى عن جدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « ما وُلِدَلَكَ »؟ قال : يارسول الله ، ما عسى أن يولد لى ؟ إما غلام ، وإما جارية . قال : « فمن يشبه » ؟ قال : يارسول الله من عسى أن يشبه ؟ إما أباه ، وإما أمه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم عندها : « لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم . أما قرأت الآية فى كتاب الله تعالى : ﴿فِي أيِّ صورة ما شاء ركّبك﴾ قال : « شكلك »(١). ذكره ابن كثير وضعفه .

ثم قال ابن كثير رحمه الله :

[٢٧] ولكن فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رجلاً قال : يارسول الله إن امرأتى ولدت غلاماً أسود . قال : «هل

---

(١) هكذا عند ابن كثير ، وعند الطبرى «سلكك» ، ولم تذكر فى باقى المصادر !

[٢٧] البخارى فى الطلاق (رقم ٥٣٠٥) ، ومسلم فى اللعان (رقم ١٥٠٠).

لك من إبل » ؟ قال نعم . قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر قال : فهل فيها من أورق [1] ؟ قال : نعم . قال : « فأنى أتاها ذلك » ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق [2] قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » ﴿كلا بل يكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون﴾ .

﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ :

بعد أن ذكر الله سبحانه ، أن من دلائل نعمته على الإنسان خلقه على أحسن صورة ، وأحسن تقويم ، ثم بين بالدلائل العقلية على صحة القول بالبعث والنشور ، أنه لا بد له من حياة أخرى غير هذه الحياة ، فيها يجازى بما عمل من خير أو شر.

أعقب هذا - سبحانه - ببيان أنه لا شيء يمنع هذا الإنسان الجحود عن التصديق بهذا اليوم إلا العناد والتكذيب ، فالشعور

(١) أورق : الأورق الذى فيه سواد ليس بحالك ، بل يميل إلى الغبرة . (الفتح) .

(٢) نزعه عرق : المعنى : يحتمل أن يكون فى أصولها ما هو باللون المذكور فاجتذبه إليه فجأة على لونه . (الفتح) .

انفسى يوحى به ، والدليل النقلى الذى أتى به الرسول يصدقه ، والله سبحانه لم يترك عملا لعباده إلا أحصاه عليهم ، وحفظه لهم ، ليعرف كل عامل أجره يوم الحساب . لذا فقد وكل الكرام الكاتبين المطهرين عن الغرض والنسيان بكتابته وضبطه .

وقوله تعالى : ﴿ **كلا بل تكذبون بالدين** ﴾ أى إنما يحملكم على مواجهة الكريم ، ومقابلته بالمعاصى تكذيب فى قلوبكم بالمعاد ، والجزاء والحساب ، فارتدعوا عن الاغترار بكرمى لكم فإنى محص عليكم كل شىء ، ومحاسبكم بكل شىء حتى على النقير والقطمير ، ولا يظلم ربك أحدا .

و« كلا » : كلمة ردع وزجر عما هم فيه . « وبل » : كلمة إضراب عما مضى من الحديث ، ودخول فى لون البيان والتقرير والتوكيد وهو غير العتاب والتذكير ، ثم حذرهم الله تبارك وتعالى من تماديهم فى غيهم وتكذيبهم ، ببيان أن أعمالهم محصاة عليهم فقال : ﴿**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**﴾ .

فأعمالكم أيها الناس محصاة عليكم من قبل ملائكة حفظة كرام ، كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ، فلا تقابلوهم بالذنوب والقبائح من الأعمال فإنهم يكتبون ويحصون عليكم كل شىء ، وقد ذكر هذا فى غير موضع من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿**وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة**﴾ (الأنعام : ٦١) وقوله تعالى: ﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ . (قّ : ١٧ -١٨) .

[٢٨] وروى عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط ، أو ببعيره ، أو ليستره أخوه » . قال ابن كثير رحمه الله :

[٢٩] وقد رواه ، الحافظ أبو بكر البزار ، فوصله بلفظ آخر

---

[٢٨] مرسل . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما ذكره ابن كثير فى تفسيره (٤٨٣/٤) ، وتاريخه (٥١/١) .

[٢٩] إسناده ضعيف جدا . البزار (٢٠٥ - مختصر ابن حجر) ، وقال =

فقال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله ينهاكم عن التعرى ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو بجذم حائط ، أو ببعيره » .

قال الألوسى رحمه الله فى تفسيره :

﴿ **يعلمون ما تفعلون** ﴾ : من الأفعال قليلا كان أو كثيرا ، ويضبطونه نقيراً أو قطميراً ، ثم قال رحمه الله : وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء ، وإنه عند الله عز وجل من جلائل الأمور ، حيث استعمل سبحانه فيه هؤلاء الكرام لديه تعالى ، ثم إن هؤلاء الحافظين غير المعقبات فى قوله تعالى: ﴿**له معَقّبَات من بين يَدَيْه ومِنْ خَلْفِه يحفظونه مِنْ أَمْر الله**﴾ . (الرعد: ١١) . فمع الإنسان عدة ملائكة :

= البزار : لين الحديث أ هـ قلت : بل متروك الحديث كما ذكر الحافظ فى التقريب وغيره .

[٣٠] روى عن عثمان أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : كم من ملك على الإنسان ؟ فذكر عليه الصلاة والسلام عشرين ملكا . قال المهدوى فى « الفيصل » : وقيل : إن كل آدمى يوكل به من حين وقوعه نطفة فى الرحم إلى موته أربعمائة ملك ، ومن يكتب الأعمال ملكان : كاتب الحسنات ، وهو فى المشهور على العاتق الأيمن ، وكاتب ما سواها وهو على العاتق الأيسر ، والأول أمين على الثانى فلا يمكنه من كتابة السيئة إلا بعد مضى ست ساعات من غير مكفر لها ، ويكتبان كل شىء حتى الاعتقاد والعزم والتقرير ، وحتى الأنين فى المرض . وكذا يكتبان حسنات الصبى على الصحيح ، ويفارقان المكلف عند الجماع ، ولايدخلان مع العبد الخلاء ، ثم قال الألوسى : ويجعل الله تعالى لهما أمارة على الاعتقاد ونحوه ويلزمان العبد إلى مماته ، فيقومان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ، ويكتب ثوابه للميت إلى يوم القيامة إن كان مؤمنا ، ويلعنانه إن كان كافرا ، وورد ببعض الآثار ما يدل على أن بعض الحسنات ما يكتبها غير هذين الملكين ، والظواهر

[٣٠] ذكره الألوسى فى تفسيره (٦٥/٣٠) ، ولم أقف عليه عند غيره ، وهذا يوحى بضعف إسناده - والله أعلم .

تدل على أن المكتوب حقيقى، وعلم المكتوب وما يكتب فيه مفوض إلى الله عز وجل .

كيف تعلم الملائكة :

قال القرطبى فى تفسيره رحمه الله : سئل سفيان : كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة ؟ قال : إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن .

ثم قال : وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك .

[٣١] وذكر ابن كثير رحمه الله فى تفسيره ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ملائكة يعرفون [بنى آدم ، وأحسبه قال : ويعرفون] أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد

---

[٣١] ضعيف جدا . أخرجه البزار (٢١٩٥ - مختصر ابن حجر) ، وقال : وسلام هذا - أحد رواته - أحسبه المدائنى ، وهو لين الحديث أهـ قال الحافظ ابن حجر : «بل متروك» أهـ وقال الحافظ الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٢٦) : فيه من لم أعرفهم .

يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا: هلك الليلة فلان » .

(ويمضى القرآن) فى الحديث فقال: ﴿**إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم .، يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين . وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ .

بهذه الآيات الكريمات يقرر المولى الكريم مصير الأبرار ومصير الفجار بعد الحساب العادل الذى جرى ، على ما كتبه وسجله الكرام الكاتبون من الحسنات والسيئات ، والخبائث والطيبات ، فقال تعالى : ﴿**إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم . يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين**﴾ .

وهذا المصير أمر مؤكد ، وعاقبة مقررة مقطوع بها من رب العزة ، وإله العالمين أن يصير ويصل الأبرار إلى النعيم ، كما ينتهى الفجار إلى الجحيم . والأبرار هم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصى . والبر : هو الذى يأتى أعمال البر حتى تصبح ملكة له ، وعادة وصفة ملازمة بحيث ينأى عن الشر ويفر من

المنكر ، وأعمال البر هى كل خير على الإطلاق ، بل هى كل أمر جاء به الإسلام وأمر بفعله ، والإسلام لا يأمر إلا بكل بر وإحسان .

[٣٢] روى عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء» والصفة التى تقابل الأبرار : هى الفجار ، وكما أن النعيم للأبرار فإن الجحيم للفجار . ولفظ الفجور فيه ما فيه من سوء أولئك الذين يرتكبون أعمال الفجور ، ويقترفون الآثام والمعاصى مُتَحَدِّينَ أوامر الله وتهديده لهم بالعذاب الأليم ، وفى هذه الآية نفسها تهديد للعصاة البغاة .

حكى أن سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة ، فقال لأبى حازم كيف القدوم على الله غداً ؟ قال : أما المحسن

---

[٣٢] ضعيف . أخرجه ابن عدى فى الكامل (١٦٣٠/٤) ، وعزاه ابن كثير فى تفسيره (٤٨٣/٤) لابن عساكر فى ترجمة (موسى بن محمد)
وفى إسناده عبيدالله بن الوليد الوصافى ، وهو ضعيف ، وقال بعضهم : متروك .

فكالغائب يقدم من سفره على أهله ، وأما المسىء فكالآبق[1] يقدم على مولاه . قال : فبكى ثم قال : ليت شعرى ما لنا عند الله ؟ فقال أبو حازم أعرض عملك على كتاب الله . قال : فى أى موضع من كتاب الله ؟ قال : ﴿**إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم**﴾ .

وروى عن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : النعيم : المعرفة والمشاهدة ، والجحيم : ظلمات الشهوات وقال بعضهم : النعيم : القناعة ، والجحيم : الطمع . وقيل النعيم : الاشتغال بالله عز وجل . والجحيم : الاشتغال بغير الله .

ثم زاد الله تبارك وتعالى يبين حال الفجار وأنهم : ﴿**يصلونها يوم الدين**﴾ وهو يوم القيامة ، ويوم الجزاء ويوم الحساب : ﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ . ويصلونها : أى يصيبهم حرها ولهيبها ولظاها . ثم بين الله تبارك وتعالى أن هذا العذاب حتم لازم لا منجاة لهم منه ولا مهرب ، فقال : ﴿**وما هم عنها بغائبين**﴾ أى أنهم لا يغيبون ولا يفرون عن الجحيم ، ولاينفكون عن عذابها ، بل هم ملازمون لها خالدون فيها ،

(١) الآبق : العبد الهارب من سيره . وانظر (المصباح) .

ولايستطيعون الخلاص منها ولو إلى حين . وهكذا يتم التقابل بين الأبرار والفجار ، وبين النعيم والجحيم ، مع زيادة بيان لحالة أصحاب الجحيم ، وقانا الله شرها وشرهم ، وجنبنا ضرها وضرهم، وإنه بعباده رؤوف رحيم .

ثم عاد سبحانه إلى تعظيم وتفخيم وتهويل أمر يوم الدين ، إذ هو موضع التكذيب والتصديق ، ويعود إليه تعالى بعد تقرير ما يقع فيه . يعود إليه ليقرر حقيقة هذا اليوم الذاتية ، ويبين ما يصيب النفوس فيه من عجز كامل وتجرد من كل حول وقوة فى عون أو تعاون . وليقرر تفرد الله تبارك وتعالى بالأمر كله فى ذلك اليوم الشديد العصيب . فيقول : ﴿**وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ . مثل هذا السؤال مألوف ومعروف فى كتاب الله ، كقوله تعالى : ﴿**الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة**﴾ (الحاقة : ١-٣) وقوله تعالى ﴿**القارعة ما القارعة . وما أدراك ما القارعة**﴾ (القارعة: ١-٣) . وهو يوقع فى نفس السامع أن الأمر أعظم جدا ، وأهول من أن يحيط به إدراك البشر المحدود ، فهو أكبر من كل تصور وتوقع ، وأكبر من كل تقدير .

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : كل شىء من القرآن ﴿**وما أدراك**﴾ فقد أدراه . وكل شىء من قوله : ﴿**وما يدريك**﴾ فقد طوى عنه . كقوله تعالى : ﴿ **وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**﴾ (الأحزاب : ٦٣) وتكرار السؤال فى العظيم والتهويل ، ثم جاء البيان متناسبا مع هذا التهويل فى تصوير عظيم حيث قال : ﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا**﴾ فهو العجز المطلق ، وهو القصور المحقق ، والانكماش بين سائر النفوس البشرية المشغولة بهمومها وغمومها . يوم ينادى المنادى: ﴿**لمن المُلْكُ اليومَ لله الواحد القهار . اليومَ تُجزَى كُلّ نَفْس بما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليوْمَ**﴾ . (غافر : ١٦-١٧) ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ المَرء من أَخيه . وأمّه وأَبِيه وصَاحبتِه وبنَيه . لكلّ امرىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئذٍ شَأن يُغْنِيه**﴾ .(عبس : ٣٤ - ٣٧).

وحتى بنو هاشم :

[٣٣] يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنقذوا أنفسكم من النار ، لا أملك لكم من الله شيئاً

---

[٣٣] مسلم فى الإيمان (٢٠٤ / ٣٤٨ ، ٣٤٩) . وانظر فتح البارى (٨ / ٥٠٢)

﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ :

فلله الأمر وحده عز وجل ، فلا أحد يحمى أحدا ولا يغنى أحد عن أحد شيئا ، وقد استأثر الله بالأمر كله ، بيده تصريفه وإليه المرجع والمآب . والله هو المنفرد بالأمر فى الدنيا والآخرة ، ولكن هذه الحقيقة تتجلى فى هذا اليوم ، أما فى الدنيا فقد يغفل عنها الغافلون المغرورون ، الذين غرهم بالله الغرور .

قال قتادة : ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ والأمر – والله – اليوم لله ، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد وقال المفسر المعاصر الممتحن الصابر سيد قطب رحمه الله : ويتلاقى هذا الهول الصامت الجليل فى نهاية السورة ، مع ذلك الهول المتحرك الهائج فى مطلعها ، وينحصر الحسن بين الهولين ... وكلاهما مذهل مهيب رعيب ، وبينها ذلك العتاب الجليل المخجل المذيب .

نسأل الله أن يجيرنا والمسلمين من هول ذلك اليوم العصيب يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله ، والحمد لله رب العالمين ....وبهذا تم تفسير سورة الانفطار ، والحمد لله رب العالمين ، والله أعلم بمراده ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سورة الانشقاق

وهى مكية وآياتها خمس وعشرون آية

نزلت بعد سورة الانفطار

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت . وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت . وأذنت لربها وحقت . ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه . فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا . وأما من أوتى كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبورا . ويصلى سعيرا . إنه كان فى أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور . بلى إن ربه كان به بصيرا . فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق . فما لهم لا

يؤمنون . وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون . بل الذين كفروا يكذبون . والله أعلم بما يوعدون . فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾.

المقدمة ومناسبتها لما قبلها

لقد ختم الله تبارك وتعالى سورة المطففين التى قبل هذه السورة ، بذكر أحوال يوم القيامة وأهوال يوم الحشر ، وفى هذه السورة افتتحها الله سبحانه بمثل ذلك من أحوال يوم البعث والنشور ، فاتصلت السورتان اتصال النظير بالنظير ، والشبيه بالشبيه .

وأوجز بعض العلماء القول فى بيان وجه ترتيب هذه السور الثلاث ، فقال : إن فى : ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ التعريف بالحفظة الكرام الكاتبين ، فى سورة المطففين بيان لمقر كتبهم ، وفى سورة الانشقاق تبدأ بذكر بعض أهوال يوم القيامة ، من

مشاهدة الانقلابات الكونية الهائلة ، وقد ذكرت بشيء من التوسع فى سورة التكوير ثم فى سورة الانفطار ، ومن قبل فى سورة النبأ . ولكنها هنا ذات طابع متميز وهو طابع الخضوع والاستسلام لله رب العالمين .

استسلام السماء واستسلام الأرض فى طواعية وخشوع لما يأمر به الرب المعبود ، فقد استمعت السماء لربها ، وحق لها أن تسمع، كما أصغت الأرض وحق لها أن تصغى لما يأمرها به الله تبارك وتعالى وقد ذكر الله سبحانه ، أنه حينما تشقق السماء ويختل نظام العالم ، وتنبسط الأرض بنسف ما فيها من جبال وتخليها عما فى جوفها ، عند ذلك يلاقى الإنسان ربه ويقف بين يديه ليوفيه حسابه ، وينقسم الناس يومئذ فريقان :

١- فريق البررة الصالحين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم وهؤلاء سيحاسبون حسابا يسيرا ، ويرجعون مسرورين إلى أهليهم بما وصلوا إليه من كرامة ربهم لهم ، وما نالوه من أجر وغنيمة .

٢- وفريق الكفرة الفجرة والعصاة الضالين ، وهؤلاء يؤتون كتبهم وراء ظهورهم ، ثم يُصْلَوْنَ نارا حامية : ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غير ها ليذوقوا العذاب**﴾ (النساء : ٥٦) إذ كان هؤلاء فرحين فى دنياهم وفى معاصيهم ، وما يتمتعون به من اللذات ، والركض وراء الشهوات والموبقات والمنكرات ، وكانوا لا يحسبون لهذا اليوم حسابه ، بل كانوا لا يؤمنون ببعث ولا نشور ، ولا حساب ، ولاعقاب ،ولا ثواب ، فاستحقوا أن يكونوا فيما هم فيه .

﴿إذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت﴾ :

هذه السماء العظيمة سياراتها ومجراتها ، ومدنها النجومية . هذه السماء التى هى آية عظمى من آيات الله ، ودلائل قدرة الله وعظمة الله عز وجل. هذه السماء التى جعلها الله محفوظة . وأمسكها من أن تزول ، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين ، هذه السماء بهرت الألباب ، وحيرت العقول ولم يستطع أحد أن يعلم ما فيها ، وعجزت العلوم عن إدراك حقائقها وكنهها .

هذه السماء المنيعة الحصينة الجبارة ، إذا أراد الله انشقاقها وزوالها وجاءها الأمر الإلهى من ربها ، فعلت فعل العبد المطاوع الذى إذا ورد عليه الأمر من جهة الآمر المطاع ، أنصت له وأذعن ، وخشع وخضع . ولم يأب ولم يمتنع ، والسماء حقيقة [١] بأن تنقاد ولا تمتنع ، وهى المخلوقة لله رب العالمين ، وهى والأرض ستقولان يوم ذاك : أتينا طائعين من غير معارضة ولا جلبة ولا اعتراض ، بل بمنتهى الرضا والاستسلام . قال تعالى : ﴿**ثُمّ استَوى إلى السماء وهى دُخَان فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعًا أو كَرْهًا قالتا أتينا طائعين**﴾ . (فصلت : ١١) .

والاستماع والطاعة من السماء والأرض تمثيل[٢] لكونهما فى قبضة القدرة الإلهية تصرفهما فى الفناء كما تصرفت فيهما بالابتداء .

---

(١) قال أكثر أهل العلم : بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد الله. القرطبى (١٥/٢٢٤) .

(٢) حقيقة : جديرة . (الوسيط)

وقوله تعالى : ﴿**انشقت**﴾ أى تصدعت ، وانفجرت بالغمام .

وقيل تنشق لهول يوم القيامة ، وانشقاق السماء من علامات يوم القيامة ، وأشراط الساعة . وأخرج ابن حاتم ، عن على كرم الله وجهه، أنه قال: إنها تنشق المجرة . قال : المجرة باب السماء .

﴿**وأذنت لربها**﴾ أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق .

«وحقت» أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شىء ، وذل له كل شىء ، وبيده كل شىء ، وهو على كل شىء قدير . ﴿**وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت . وأذنت لربها وحقت**﴾ :

وقوله تعالى ﴿**انشقت**﴾ أى تصدعت وانفرجت وتصدعت بالغمام، وقال تعالى ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام**﴾ . [الفرقان : ٢٥]، ﴿**وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت . وأذنت لربها وحقت**﴾ .

---

(١) آكام : جمع أكمة ، وهو التل . (الوسيط) .

مدت الأرض : أى فرشت وبسطت ووسعت ، ودكت جبالها وآكامها[١] ، وحتى تصير كالصحيفة الملساء . وقبل : سويت فلا بناء ولا جبل إلا ودخل فيها .

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نَسْفًا . فَيَذرها قاعًا صفصفا. لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمْتا﴾ .(طه : ١٠٥ : ١٠٧) .

أورد ابن كثير فى تفسيره قال :

[٣٤] قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ،

---

[٣٤] مرسل . ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/١١٣-١١٤) ، وأخرجه أيضا عبدالرزاق فى تفسيره (٢٢/٣٥٨) .
ورواه ابن المبارك فى الزهد (رقم ٣٧٥ - زيادات نعيم) ، وأبو نعيم فى الحلية(٣/١٤٥) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٥٧١) عن على بن الحسين عن رجل من أهل العلم - عن النبى صلى الله عليه وسلم - به .
ورواه البيهقى فى شعب الإيمان (رقم ٣٠٣) عن على بن الحسين عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم به . لكن فى إسناده الكديمى وهو=

عن معمر ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم ، حتى لايكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها ، فأقول : يارب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى ، فيقول الله عز وجل : صدق ثم أشفع ، فأقول : يارب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ، قال : وهو المقام المحمود » .

وقال ابن عباس وابن مسعود : ويزاد فى سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب ، حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها .

= متهم . وقال الحافظ أبو نعيم : «وعلى بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروى عن رجل لا يعتمده فينسبه إلى العلم ، ويطلق القول به» أ هـ . قلت: قد يكون ثقة عنده ولا مرضاه غيره كما هو الصحيح فى المصطلح – وانظر فتح المغيث (١/٢٨٨) – ، ثم لو سلمنا بذلك فيكون الحديث مرسلا ، لأنه لم يصرح بأنه صحابى إلا من رواية البيهقى وهى واهية كما تقدم ، والله أعلم .

﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ :

أى أخرجت الأموات الذين دفنوا فى باطنها ، وتخلت عنهم ورمت الكنوز التى فى جوفها ، حتى لم يبق شىء فى بطنها . وقيل : معناه ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها ، وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها . وهذا مؤذن بعظم الأمر ، وجسامة الخطب ، حتى تلقى الأرض بكل ما فيها ، كما تضع الحامل حملها ، وتلقى ما فى بطنها عند اشتداد الأمر ، ويوم الفزع الأكبر : **﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾** .(الحج : ٢) .

وقيل : ألقت ما استودعت ، وتخلت مما استحفظت ، لأن الله تعالى استودعها عباده أحياء وأمواتا واستحفظها بلاده مزارعة وأمواتا . **﴿وأذنت لربها وحقت﴾**:

أى استحقت وانقادت لعظيم قدرته سبحانه وتعالى ، أى وجليل هيبته وسلطانه ، وفعلت فعل المطواع الذى يسمع للأمر وينقاد له .

[٣٥] وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أذن الله لشىء كإذنه لنبىّ يتغنى بالقرآن » - أى ما استمع الله لشىء .

وقال الشاعر :

صمّ إذا سمعوا خيرا ذُكِرْتُ به
وإن ذُكِرْتُ بسوء عندَهُم أَذِنُوا
إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا
وما هم أذنوا من صالح دفنوا

وقوله تعالى ﴿ وأذنت لربها ﴾ هنا ، وبالنسبة للسماء هناك ، لا يعد تكرارا ، لأن الأول فى صفة السماء ، والثانى فى صفة

---

[٣٥] متفق عليه . البخارى فى فضائل القرءان (٥٠٢٣) ، ومسلم فى صلاة المسافرين(٧٩٢)

الأرض ، وهذا كله من أشراط الساعة وعلاماتها ، وجلائل الأمور التى تقع عندها يومذاك . والتقدير : إذا كانت هذه الأشياء التى ذكرناها وعددناها رأى الإنسان ما قدم من خير أو شر .

وقيل جواب « إذا » فى قوله تعالى : ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ محذوف لعلم المخاطبين . أى إذا كانت هذه الأشياء ، علم المكذبون ضلالهم وخسرانهم . وقال القرطبى فى تفسيره : قيل : تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة ؟ فقيل لهم : إذا ظهرت أشراطها كانت القيامة ، فرأيتم عاقبة تكذيبكم بها . والقرآن كالآية الواحدة فى دلالة البعض على البعض .

وقصارى ما فى هذه الآية ، أنها فى وصف جزء من أحوال يوم القيامة : ﴿**يَوْمَ يقومُ الناسُ لرَبِّ العالمين**﴾ . (المطففين : ٦) ﴿**يَوْمَ يكونُ الناسُ كالفَرَاش المبْثوث . وتَكُونُ الجبالُ كالعِهْنِ المَنفُوش**﴾ . (القارعة : ٤ – ٥) وسيكون العالم على غير حالته التى هو عليها فى هذه الحياة فتبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات ، ويقف الناس للحساب بين يدى رب

العالمين ، فيجازى المحسن على إحسانه ، كما أنه يجازى المسيىء على إساءته ، ولكل درجات مما عملوا فمنهم شقى ومنهم سعيد ، نسأل الله أن يجعلنا من السعداء فى الدنيا والآخرة ، إنه تبارك وتعالى ، نعم المولى ونعم النصير .

﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾:

الكدح فى لغة العرب : العمل والكسب . قال الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما

أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

وقال آخر :

ومضت بشاشة كل عيش صالح

وبقيت أكدح للحياة وأنصب

والإنسان هو هذا المخلوق المفضل الذى خلقه ربه فى أحسن تقويم ، والذى ميزه بهذه الإنسانية السامية ، ونفخ فيه من روحه ،

وأودعه بأسرار وخصائص كان من شأنها أن يكون هذا الإنسان أعرف بربه ، وأطوع لأمره من الأرض والسماء ، وهو الذى حمل الأمانة ، ولكنه كان بها ظلوما جهولا . هذا الإنسان -- كإنسان يخاطبه ربه تكرما وتفضلا.

أيها الإنسان المجد فى سعيه ، النشيط فى عمله ، السريع فى تحصيل معاشه وكسبه ، أنت تكدح فى طلب الدنيا حتى ربما استبطأت حركة الزمن ، وكم تمنيت نهاية اليوم أو الشهر أو العام ، لتحصل على بغيتك ، ألم تعلم بأن هذا كله من عمرك ، وأنت تكدح صائرا إلى ربك ، وتجد واصلا إلى نهايتك وأجلك :

يسر المرء ما ذهب الليالى وكان ذهابهن له ذهابا

وقال الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسيره لجزء عم : ﴿**كادح**﴾ من الكدح ، وهو العمل والسعى ، والكسب والخدش والكدح : عمل الإنسان لنفسه من خير أو شر ، ووصل الوصف بذلك إذ قال : ﴿**كادح إلى ربك**﴾ ولم يقل : لربك ، ليدل على أنه أراد من الكدح معنى فيه انتهاء ، كأنه يقول – والله أعلم:

يا أيها الإنسان السادر فى غلوائه ، الصادر فى عمله عن أهوائه ، الغافل عن مصيره ، الجائر عن جادة الحق فى مسيره ، لا تظن أنك خالد ، وأنت مقيم فيما أنت له جاهد ، وإنك إن آذيت الخلق وازدريت الحق ، واغتررت بالحول والقوة ، وسلمت عنانك للشهوة ، ضمنت لنفسك التمتع بما تكسب ، والبقاء فيما أنت فيه تتعب وتنصب ، كلا إنك مجد بالسير إلى ربك ، وإن كنت لا تشعر بجدك ، وإن شعرت به لهوت عنه ، وكل خطوة فى عملك فهى فى الحقيقة خطوة إلى أجلك ، فكل جهد وتعب يحدث فى القوى أثر ضعف ، ولا يزال الضعف يتبع بعضه بعضا حتى ينتهى إلى الموت الذى لا محيد عنه ، وهناك لقاء الله ، فإن الموت يكشف عن الروح غطاء الغفلة ، ويجلولها وجه الحق فتعرف من الله ما كانت تنكره ، فقد لقيته كما يلاقى الغائب من يقدم هو عليه ، وما بعد الموت من رجعة إلا يوم البعث ، يوم يقوم الناس للعرض على مالك يوم الدين ، كما قال : **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾** . (الحاقة : ١٨) . وهناك يرتفع الالتباس

ويعرف كل غافل ما جر إليه عمله . وقوله تعالى: ﴿**فملاقية**﴾ أى إن الإنسان سيلقى ربه ، ويلقى ما عمل من خير أو شر ، ويشهد بهذا ما رواه :

[٣٦] أبو داود الطيالسى ، عن الحسن بن أبى جعفر ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جبريل : « يامحمد عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه » .

قال قتادة : ﴿**ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا**﴾ إن كدحك يابن آدم لعنيف ، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال العوفى عن ابن عباس :﴿**ياأيها الإنسان إنك كادح إلى**

[٣٦] حسن بطرقه . الطيالسى فى مسنده (رقم ١٧٥٥) ، ومن طريقه البيهقى فى شعب الإيمان (١٠٥٤٠) وفى إسناده الحسن بن أبى جعفر وهو ضعيف الحديث مع عبادته وفضله ، وأبو الزبير لم يصرح بالتحديث وهو مدلس . لكن له شواهد لا يخلو أحدها من مقال ، لكن يقوى بها الحديث – وانظر السلسلة الصحيحة (رقم ٨٣١، ١٩٠٣)

ربك كدحا﴾ يقول : تعمل عملا تلقى الله به خيراً كان أو شرا . فالله يجازيك عليه ويكافئك على سعيك وعملك ، ولا يظلم ربك أحدا. والناس فى هذا اليوم فريقان ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

١- ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا﴾ :

فالفريق الذى سيعرض عليه سجل عمله ، وفيه صفحات مشرقة من الطاعة والبر والإحسان سوف يحاسب حسابا هو أيسر الحساب وأخفه ، إذ ستعرض عليه صفحات أعماله فيعرف بطاعته وبمعاصيه ، ثم يثاب على ما كان منها طاعة ، ويتجاوز له عما كان منها معصية ، ويتناول كتابه بيمينه ويقول : **﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه ﴾** (الحاقة : ١٩) .

[٣٧] روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت

---

[٣٧] حسن بهذا السياق . أخرجه أحمد (٦/٤٨) ، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤/٤٩٠) صحيح على شرط مسلم .=

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول فى بعض صلاته :

« اللهم حاسبنى حساباً يسيراً » فلما انصرف قلت : يارسول الله وما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر فى كتابه ، فيتجاوز له عن سيئاته ، فأما من نوقش الحساب فقد هلك » .

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ : أى سهلا بلا تعسير ، أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة .

[٣٨] وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد الله أبى مليكة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب عذب» . قالت : فقلت : أفليس قال الله تعالى : ﴿فسوف

= قلت : حسنته فقط من أجل الكلام فى محمد بن اسحاق .

[٣٨] متفق عليه . أحمد (٦/٤٧) ، والبخارى فى التفسير (٤٩٣٩) ، ومسلم فى الجنة (٢٨٧٦/٢٠).

يحاسب حساباً يسيراً ﴾ . قال : « ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . وهكذا رواه البخارى .

﴿ وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ :

أى يرجع إلى أهله فى الجنة مسرورا . وفرحاً مغتبطا بما أعطاه عز وجل ، وهو قرير العين بنعمة الله وعفو الله وإحسان الله عز وجل .

وقيل : أهله أى أزواجه الحور العين فى الجنة . وذكر أن أهله هم قبيله وإخوانه من المؤمنين الصادقين العاملين ، الذين تآخوا فى الله فكان بعضهم أهلا للبعض الآخر ، بل هم أقرب من الأهل إن كانوا أهله على غير طريق الإيمان .

[٣٩] روى الطبرانى : عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله

---

[٣٩] إسناد ضعيف . الطبرانى (٢/رقم ١٤١٦) ، قال الحافظ الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٣١): فيه يحيى بن عبدالحميد الحمانى ، وهو ضعيف.

عليه وسلم ، [عن النبى صلى الله علسه وسلم] أنه قال : « إنكم تعملون أعمالا لا تعرف ، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله ، فمسرور أو مكظوم ».

وقيل إن هذه الآية ﴿**وينقلب إلى أهله مسرورا**﴾ نزلت فى أبى سلمة بن عبد الأسد ، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة وقيل : إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا ، ليخبرهم بخلاصه وسلامته ونجاته من عذاب الله ، وهى الفرحه الكبرى للمؤمنين ، والمنة العظمى من ربهم إليهم . نسأل الله أن يجعلنا فى زمرة المؤمنين الصادقين ، وأن يحشرنا على الحوض مع سيد المرسلين محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه .

٢- وأما الفريق الثانى فهذه آياته :

﴿وأمّاَ مَنْ أُوتىَ كتابهَ وراء ظَهْرِه . فسوف يدعو ثُبُورًا . ويصلَى سَعِيرًا﴾ :

هذا الفريق من العصاة العتاة الذين أكثروا من ارتكاب الجرائم ، واجتراح المعاصى والسيئات ، ولم يعدوا له عديه ،

هؤلاء الشقاة سوف يؤتون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم ومد اليسار إلى الكتاب دليل على الكراهية والخزى وسوء المنقلب وأظهر فى الدلالة على الكراهية والنفور ، أن يستدبره ويعرض عنه فيكون من وراء ظهره .

قال ابن عباس رضى الله عنه : يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه ، فيجذبه ملك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره .

وقال قتادة ومقاتل : يفك ألواح صدره وعظامه ، ثم تدخل يده . وتخرج من ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك .

﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ :

أى يدعو بالهلاك على نفسه فيقول : ياويلاه ياثبوراه ، واهلاكاه ، فهو يتمنى أن يهلك بأن يموت موتا أبديا ، ولا يرى هذا العذاب ويفقد الشعور بما يلقاه ، وهو كقول الكافر يوم الحساب : ﴿ياليتنى كنت تراباً﴾ . (النبأ: ٤٠) . ولا تنفعه هذه الاستغاثات ولا هذه الدعوات ، فهو فى عذاب مقيم ، وسيقال لهم

فى جهنم : ﴿اخسئوا فيها ولا تُكَلِّمُون﴾ (المؤمنون : ١٠٨).

﴿ ويَصْلَى سعيرا ﴾ :

وسوف يدخل النار حتى يصلى حرها ، ويقاسى حرارتها ولذعها وشدتها وإحراقها ولهيبها ، وهذه هى التعاسة التى ليس بعدها تعاسة ، والشقاء الذى لا يشبهه شقاء ، إذ أن هذا المخلوق الأنكد قضى حياته فى الأرض بالنصب والفكر ، ثم سار فى الطريق إلى ربه تعبا كادحا ، وهو غارق فى المعصية والإثم والضلال ، وهو اليوم يعرف نهايته ويواجه مصيره ، ويدرك أنه الشقاء الأبدى ، لا منفذ فيه للخلاص ، ولا طريق فيه للنجاة ، ولذا فهو يدعو على نفسه بالهلاك ، وينادى بالويل والثبور[1] ، وهيهات[2] هيهات ، فقد انقطع العمل ، وحان الأجل ومات الأمل.

وفى سياق هذه الآية الكريمة التى بينت مصير هذا الشقى ،

---

(١) الثبور : الهلاك ، والويل ، والإهلاك . (قاموس) .

(٢) هيهات : اسم فعل ، معناه : البعد . (الوسيط) .

يرجع القرآن العظيم ، فيبين ماضى هذا المخلوق الذى انتهت به أعماله إلى هذا المصير الأليم ، فكانت هذه الحالة التى وصفه بها كتاب الله هى العلة والسبب الذى أورده النار ، وبئس الورد المورود . فقال تعالى بعدها :

﴿إنه كان فى أهله مسرورا . إنه ظَنّ أن لّن يحَوُرَ﴾:

ذكر الإمام الرازى رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية وجهين نقلهما عن القفال :

أحدهما : إن هذا الإنسان الذى استحق أن يصلى نارا سعيرا إنه كان فى الدنيا فى أهله مسرورا أى منعما مستريحا من التعب بأداء العبادات ، واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والصوم والجهاد ، مقدما على المعاصى ، آمنا من الحساب والثواب والعقاب ، لايخاف الله ولا يرجوه ، فأبدله الله بذلك السرور الفانى غما باقيا لا ينقطع ، وكان المؤمن الذى أوتى كتابه بيمينه متعبا من المعاصى غير آمن العذاب ، ولم يكن فى دنياه مسرورا فى أهله ، فيجعله الله

فى الآخـرة مسـرورا ، فأبدله الله تعـالى بالغم الفـانى سرورا دائمـا لا ينفد .

والوجـه الثـانى هـو أن قـوله تعـالى : ﴿**إنه كـــان فى أهـله مسرورا**﴾. كقـوله تعالى : ﴿**وإذا انـقَلَبُوا إلــى أَهْلِهِمُ انـقَلَبُوا فَكِهِينَ**﴾ .(المطففين: ٣١) . أى متنعمين فى الدنيا معـجبين بما هم عليه من الكفر ، فكذلك ههنا يحـتمل أن يكون المعنى إنه كان فى أهله مسـرورا بما هو عليه من الكفر فى اللـه ، والتكذيب بالبعث ، يضحك ممن آمن به وصدق بالحساب.

[٤٠] وقـد رورى عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم أنـه قـال : «الدنيا سِجْنُ المؤْمِن ، وجَنّة الكَافِر» .

لقد كـان هذا الإنسان الأنكد فى حيـاته الدنيوية ، غافـلا لاهيا ساهيا عمّا وراء هذه الحياة الفانية ، لذا فقد عاش متنعما فرحا بطرا لا يفـرق بين حلال وحـرام ، ولا يهـمه مـن أمر الآخـرة شىء ، بل كان يقـدم على المعاصى ملتـذا بها مستـحليا لهـا ظانا أن لذتها لا

---

[٤٠] مسلم فى أول الزهد (٢٩٥٦) .

توجب حسرة ، ولاتورث الندامة والتردى فى نار السموم ، إنه كان يفعل كل ذلك ولا يندم ولا يخجل ، بل يسر بالمعاصى والآثام ، وإذا عصى العبد ربه وسر بمعصية الله ، فقد ظن أنه لا يرجع إلى البعث فضلا عن يقينه وإيمانه بأنه سوف يرجع ، وهذه الآية شهادة من المسخرين لشهواتهم وأهواءهم فى أعمالهم ، لايمكن أن يكونوا ظانين فضلا عن كونهم موقنين بأنهم يرجعون إلى الله ليحاسبهم ، بل الراجح عندهم أنهم لا يحاسبون أو أن الله مخلف وعده وأنه سوف لا يعذب أحدا من عباده ، وهذا هو الطريق الذى يلبس به إبليس على مثل هؤلاء المخدوعين ، وهو الذى ينسيهم ذكر الله عند كل جرم أو معصية يرتكبونها ، فهو وإن كانوا يزعمون : « الإيمان بالله وبوعده ووعيده » يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، وتكذب أفعالهم أقوالهم ، وهؤلاء يبتلون دائماً بسوء الخاتمة والعياذ بالله من سوء الخاتمة ، فإنها الطآمة الكبرى على الإنسان .

قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء

والشفقة فى الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور فى الآخرة . وقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا قبل فى أَهْلِنا مُشْفِقِينَ . فمَنّ الله عَلينَا ووَقَانَا عَذَابَ السّمُوم﴾ . (الطور : ٢٦ - ٢٧) قال : ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : ﴿إنه كان فى أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور﴾.

هذه هى علة سروره فى الدنيا وبطره وأشره فيها ، إنه ظن أنه لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا للمعاد ، وجحودا ليوم التناد ، وغفلة عن رب العباد ، وقيل فى معناه : إن هذا الشقى الأنكد ظن أنه لن يرجع إلى العدم ، أى ظن أنه لا يموت ، وكان غافلا حقا عن الموت ، ولو كان ذاكرا له لأعد لهذا اليوم عدته ،ولكنه غفل فكان من الهالكين . قال مقاتل : حسب أن لا يرجع إلى الله فقال سبحانه : بلى ليحورن وليبعثن ، وليس الأمر على ما ظنه

ويقال : حار يحور ، إذا رجع ، قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

ويقال : لا يحور ولا يحول : أى لا يرجع ولا يتغير .

قال ابن عباس رضى الله عنه : ما كنت أدرى ما « يحور »، حتى سمعت أعربية تدعو بنية لها وتقول : «حورى ، حورى » : أى ارجعى إلى .

والحور فى كلام العرب الرجوع ومنه

[٤١] قول النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من الحور بعد الكور » ، أى : من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة.

وفى المثل : « حور فى محارة » : أى نقصان فى نقصان ، يضرب للرجل إذا كان أمره يدبر .

قال الشاعر :

واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا

والذم يبقى وزاد القوم فى حور

بعد هذا رد الله تبارك وتعالى على الإنسان ظنه الخاطىء ،

---

[٤١] مسلم فى الحج (١٣٤٣) ، وهو جزء من حديث «دعاء السفر».

وتقديره الباطل ، ونظره الفاشل ، فقال تعالى :

﴿ بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ :

و«بلى » : إيجاب لما بعد النفى فى قوله تعالى : **﴿لن يحور﴾** . أى بلى ليحورن وليرجعن إلى من بدأه أول مرة ، وخلفة من نطفة ، وسوف يحاسب على عمله ، فيجزى عليه جزاء عادلا ، الخير بالخير والشر بالشر ، ولا يظلم ربك أحدا ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت كل ذى فضل فضله ، كما يعذب كل مسىء بإساءته ، وكل صاحب جريرة بجريرته (١) .

فليس الأمر كما ظن هذا الإنسان من أنه سوف لن يعود إلينا ، بلى يحور إلينا ويرجع ، والأمر إلينا فى الأولى والآخرة ، وربه الذى خلقه من نطفة عالم بأن مرجعه إليه ، وهو العالم به من يوم خلقه إلى أن يبعثه يوم القيامة .

---

(١) الجريرة : ما يجره الإنسان من ذنب ... (مصباح) .

وذكر الإمام الرازى رحمه الله وجهين للقفال فى تفسير هذه الآية الكريمة :

الأول : أن ربه عالم بأنه سيجزيه .

الثاني : أن ربه كان عالماً بما يعمله من الكفر والمعاصى ، فلم يكن يجوز فى حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله . وفى هذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصى ، وكفى بالقرآن العظيم واعظاً وزاجراً وآمرا وناهيا ، وهو تنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين وإمام العالمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وجزاه الله عنا خير ما يجزى نبياً عن أمته .

وذكر أن هاتين الآيتين نزلتا فى أبى سلمة بن عبد الأسد ، وأخيه الأسود بن عبد الأسد (١) وحكمهما عام شامل لكل من كذب بيوم

(١) يقصد المؤلف – رحمه الله – أن الآيات النازلة فى وصف المؤمن نزلت فى أبى سلمة ، والآيات الأخرى فى وصف الكافر نزلت فى أخيه الأسود بن عبدالأسد .

لدين ، وظن أنه لن يحور إلى ربه ، فالمرجع والمآب إلى الله العلى الكبير ، والحمد لله رب العالمين . **﴿فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقاً عن طبق﴾** :

بعد أن ذكر الله تبارك وتعالى فى الآيات السابقة : أن الإنسان راجع لا محالة إلى ربه ، فملاقيه ، طال الأمد أم قصر . وأنه سبحانه سوف يحاسبه حسابا يسيرا أو عسيرا على قدر حاله ودرجته من الإيمان والصلاح ، أقسم هنا بآيات له فى الكون ظاهرات باهرات ، ليؤكد أن البعث والنشور ، والقيام للحساب كائن لا محالة ، وأن الناس سيلقون شدائد الأهوال حتى يفرغوا من حسابهم ،فيصير كل واحد إلى ما أعد الله له من جنة أو نار ، قريب من هذا قوله تعالى : **﴿قُلْ بَلىَ وربّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بما عَمِلْتُم﴾** : (التغابن : ٧).

﴿ فلا أقسم ﴾ عبارة من عبارات القسم عند العرب ، فقوله : **﴿لا أقسم ﴾** أى فأقسم و« لا » صلة .

والشفق : هو الحمرة التى تكون بعد مغيب الشمس ، فإذا ذهبت الحمرة فقد خرج وقت صلاة المغرب ، ووجبت صلاة العشاء .

وقيل الشفق هو البياض ، وصح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ﴿**فلا أقسم بالشفق**﴾ هو النهار كله ، قال ابن كثير : وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى : ﴿**والليل وما وسق**﴾ أى جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام . وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبرا ، وبالليل مقبلا .

وهذه الساعات من التحول بولوج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، تشعر النفس المؤمنة برهبة الموقف وروعة الانتقال ، ويحس القلب بمعنى الوداع ليوم تصرم من حياته ، وسوف يستقبل ليلا مظلما يستوحش من ظلمته ، ولا يدرى ما الله فاعل فيه ، وستطويه الظلمة كما تطوى غيره من الكائنات وتلفهم بأثوابها السابغة ، وتبقى حتى يأذن الله بزوالها بطلوع الفجر ، وبزوغ

الشمس . وفى الصحاح : الشفق بقية ضوء الشمس ، وحمرتها من أول الليل إلى قريب من العتمة . قال الخليل : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، إذا ذهب قبل غياب الشفق وأصل الكلمة من رقة الشيء ، يقال أشفق عليه : أى رق قلبه عليه . والشفقة : الاسم من الإشفاق ، وهو رقة القلب ، وكذلك الشفيق .

قال الشاعر :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا

والموت أكرم نزال على الحرم

قال القرطبى رحمه الله فى تفسيره : فالشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها ، فكان تلك الرقة من ضوء الشمس ، وزعم الحكماء أن البياض لا يغيب أصلا . وقال الخليل : صعدت منارة الإسكندرية فرمقت البياض ، فرأيته يتردد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب .

وقال ابن أبى أويس : « رأيته يتمادى إلى طلوع الفجر » .

﴿والليل وما وسق﴾ :

قال أهل اللغة : وسق : أى جمع ، ومنه الوسق ، وهو الطعام الكثير المجتمع الذى يكال ويوزن ، وهو ستون صاعا[1] . وطعام موسوق : أى مجموع . والإبل مستوسقة : أى مجتمعة ، قال الراجز :

إن لنا قلائصا حقائقا   مستوسقات لو يجدن سائقا.

فمعنى « وسق » أى ضم وجمع ولف ، فإذا جلل الليل الجبال والأشجار ، والمهامه [2] والقفار ، والأرض والبحار ، فاجتمعت له فقد وسقها ، والوسق ضم الشىء بعضه إلى بعض .

قال القفال رحمه الله : مجموع أقاويل المفسرين يدل على أنهم فسروا قوله تعالى : ﴿ وما وسق ﴾ على جميع ما يجمعه الليل من

---

(١) الصاع = ٢,٧٥١ كلغ - تقريبا - كما ذكره بعض المعاصرين الأفاضل ملحقا فى أصر «مصابيح السنة» (٤/٤٧٧) .

(٢) المهامه : جمع مهمه ، وهى المفازة - الصحراء - البعيدة . (الوسيط)

النجوم ، ورجوع الحيوان عن الانتشار ، وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام ، ثم هذا يحتمل أن يكون إشارة إلى الأشياء كلها لا شتمال الليل عليها ، فكأنه تعالى أقسم بجميع .

المخلوقات كما قال :﴿**فلا أقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون**﴾ . (الحاقة : ٣٨- ٣٩) .

وللقفال رأى آخر فى تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال : يحتمل أن يكون ذلك هو تهجد العباد ، فقد مدح الله تعالى بها المستغفرين بالأسحار ، فيجوز أن يحلف بهم ، وإنما قلنا : إن الليل جمع هذه الأشياء كلها ، لأن ظلمته كأنها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوان ، فلا جرم(١) صح أن يقال : « وسق جميع هذه الأشياء » انتهى .

قال عكرمة : ما وسق : أى وما ساق من شيء إلى حيث يأوى وعن ابن عباس : وما وسق : أى وما جن وستر وما حمل ،

---

(١) لاجرم : لابد ، لا محالة ، أو حقا . (الوسيط) .

وحمل : أى ضم وجمع ، والليل يجلل بظلمته كل شىء . ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها.

والخلاصة : أن كل ما نشره النهار بالحركة ، ضمه الليل وجمعه بالسكون ، وسبحان من جعل الليل سكنا وجعل النهار معاشا : ﴿ومِن رحمته جَعَلَ لكم اللّيْلَ والنهارَ لِتسكُنُوا فيه ولِتبتغوا مِن فَضْلِه﴾. (القصص: ٧٣) .

﴿ والقمر إذا اتّسَقَ ﴾ :

اتسق : بمعنى تم واجتمع واستوى واستدار . وأصل الكلمة من الاجتماع . يقال : وسقته فاتسق ، أى جمعته فاجتمع .

قال ابن عباس : إذا اتسق أى استوى واجتمع وتكامل ، وتم واستدار ، وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستة عشر ، وهى امتلاء القمر واستوائه ليالى البدر ، ولا يخفى ما للناس من المنافع فى هذه الأشياء الثلاثة التى أقسم الله سبحانه وتعالى بها لتنبيه الغافلين إلى ما أودع فيها من حكم وأسرار ، تدل بوضوح على عظمة وحكمة مبدعها ، وواضع نظامها فهى جديرة أن يقسم الله بها ، ولو تدبر

الإنسان أمرها لاستدل بجلالها ، وعظمة شأنها على قدرة الخالق العظيم جل جلاله وتقدست أسماؤه .

قال المفسر العالم الشهيد سيد قطب رحمه الله بعد أن فسر هذه الآيات الثلاث : الشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق ، هذه اللمحات الكونية الجميلة الجليلة الرائعة المرهوبة الموحية يلتقطها القرآن لقطات سريعة ، ويخاطب بها القلب البشرى الذى يغفل عن خطابها الكونى ، ويلوح بالقسم بها ليبرزها للمشاعر والضمائر فى حيويتها وجمالها ، وإيحائها وإيقاعها ، ودلالتها على اليد التى تمسك بأقدار هذا الكون ، وترسم خطواته ، وتبدل أحواله وأحوال الناس أيضا وهم غافلون ، بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى ما به أقسم من هذه الأمور الكونية أتبعه بذكر ما عليه أقسم وهو جواب القسم ، فقال تعالى :

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَق ﴾ :

فى هذه الآية الكريمة ثلاث قراءات : أحدها بضم الباء «لتركبُن» ، والثانية بفتح الباء « لتركبَن » ، والثالثة بكسر

الباء ،« لتركبِن » طبقا عن طبق .

ولكل قراءة من هذه القراءات معنى تدل عليه ، فمن قرأها بالضم ﴿ لتركبُن طبقًا عن طبق﴾ إذ الخطاب فيها للجمع ، ويكون بمعنى لتركبن أيها الناس أمورًا وأحوالاً أمرًا بعد أمر ، وحالاً بعد حال ، ومنزلاً بعد منزل إلى أن يستقر الأمر على ما يقضى به على الإنسان أو له من جنة أو نار ، فحينئذ يحصل الدوام والخلود ، إما فى دار الثواب أو فى دار العقاب ، ويدخل فى هذه الجملة أحوال الإنسان من حين يكون نطفة إلى أن يصير شخصاً ثم يموت ، فيكون فى البرزخ ثم يحشر وينقل إما إلى الجنة وإما إلى النار . ومعنى آخر : هو أن الناس يلقون يوم القيامة أحوالا وشدائد حالا بعد حال ، وشدة بعد شدة ، كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله أن البعث كائن ، وأن الناس يلقون فيه الشدائد والأهوال إلى أن يفرغ من حسابهم ، فيصير كل أحد إلى ما أعد الله له من جنة أو نار ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿ بَلَى وربّى لَتبْعثُنّ ثُمّ لَتُنَبّؤُنّ بما عَمِلتُمْ﴾. (التغابن : ٧) .

ومعنى آخر هو أن الناس تنتقل أحوالهم يوم القيامة عما كانوا عليه فى الدنيا ، فمن وضيع فى الدنيا يصير رفيعا فى الآخرة ، ومن رفيع يتضع ، ومن متنعم يشقى ، ومن شقى يتنعم ، وهو كقوله تعالى : ﴿ خافضة رَافِعَةٌ ﴾ .(الواقعة : ٣) وهذا المعنى مناسب لما قبل هذه الآية ، لأنه تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره أنه كان فى أهله مسرورا ، وكان يظن أنه لن يحور ، أخبر الله أنه يحور ، ثم أقسم على الناس أنهم يركبون فى الأرض طبقا عن طبق ، أى حالا بعد حالهم فى الدنيا .

أما القراءة بالفتح ﴿ لَتركبَنّ طبقا عن طبق ﴾ فقد ذكر له معنيان –الأول : أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، أى لتركبن يامحمد حالا بعد حال . قاله ابن عباس .

وعن الشعبى : لتركبن يامحمد سماء بعد سماء ، ودرجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى .

وفيه بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر والغلبة على

المشركين المكذبين بالبعث ، كأنه يقول : أقسم يامحمد لتركبن حالا بعد حال ، حتى يختم لك بجميل العاقبة ، فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم .

وقال ابن مسعود فى معناها : لتركبن السماء حالا بعد حال . يعنى حالاتها التى وصفها الله بها من الانشقاق والطى ، وكونها مرة كالمهل[1] ، ومرة كالدهان [2] . وفيه بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بصعوده إلى السماء لمشاهدة ملكوتها ، وإجلال الملائكة إياه فيها .

والمعنى : لتركبن يامحمد السموات طبقا عن طبق ، وقد قال تعالى : ﴿ سَبْعَ سموات طِبَاقا ﴾ . (الملك : ٣) وقد فعل ذلك ليلة الإسراء حيث أسرى الله بعبده وحبيبه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك الله فيه حوله ثم عرج به إلى السموات

---

(١) كالمهل : ذائب الفضة . (الجلالين - المعارج : ٨).

(٢) كالدهان : كالأديم - الجلد - الأحمر على طلاق العهد بهار . (الجلالين - الرحمن : ٣٧).

العلى عند سدرة المنتهى ، حتى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .

والمعنى الثانى فى قراءة الفتح « لتركبن » هو أن الخطاب للإنسان أى لتركبن أيها الإنسان حالا بعد حال ، من كونك نطفة، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم حيا وميتا ، وغنيا وفقيرا ، فالخطاب للإنسان المذكور فى قوله تعالى : ﴿**ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾ هو اسم للجنس ، ومعناه الناس .

ويشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يموت على سبعة وثلاثين اسما [١] : فهو نطفة ، ثم علقة ثم مضغة ، ثم عظما ، ثم خلقا آخر ، ثم جنينا ، ثم وليدا ، ثم رضيعا ، ثم فطيما ، ثم ناشئا ، ثم مترعرعا ، ثم حزورا ، ثم مراهقا ، ثم محتلما ، ثم بالغا ، ثم أمردا ، ثم طارا ، ثم باقلا ، ثم مسيطرا ، ثم مطرخما ، ثم مختطا ، ثم صملا ، ثم ملتحيا ، ثم مستويا ، ثم مصعدا ثم

(١) نصيحتى للداعى والواعظ ألا يشغل الناس بذكر هذه الأسماء حتى يخرجهم عن خشوعهم ، ولأنه إن سردها من حفظه سيتلجلج ويبدو كالتلميذ الصغير ، ولأنه سيلحن فى نطقها ، وان نجا منهما ، فإنى أخاف عليه حينئذ من العجب .

مجتمعا - الشاب يجمع ذلك كله - ثم ملهوزا ، ثم كهلا ، ثم أشمط ، ثم شيخا ، ثم أشيب ، ثم حوقلا ، ثم صفنانا ، ثم هما ، ثم هرما ، ثم ميتا » .

وأما القراءة بالكسر : ﴿ لتركبِنَّ طبقا عن طبق ﴾ فالخطاب حينئذ يتوجه إلى النفس الإنسانية : أى أيتها النفس الإنساني لتركبن طبقا عن طبق : أى من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن .

قال القرطبى رحمه الله فى تفسيره بعد ذكر وجوب هذه الآية الكريمة : كله مراد وقد جاءت بذلك أحاديث

[٤٢] فروى أبو نعيم الحافظ ، عن جعفر بن محمد بن علىّ ،

---

[٤٢] إسناده ضعيف جدا . أبو نعيم فى الحلية (٣/١٩٠) ، وقال هذا حديث غريب من حديث أبى جعفر - يعنى الصادق - وحديث جابر - الصحابى - تفرد به جابر بن يزيد الجعفى ، وعنه المفضل ..

قلت : المفضل بن عبدالله وهو الكوفى ، وجابر الجعفى كلاهما ضعيف ، وبين جعفر الصادق وجابر بن عبدالله انقطاع ، فالسند ضعيف جدا . وقد تابع المفضل : عمرو بن شمر الجعفى عند ابن أبى حاتم ، ولكن عمرو هذا متروك بل متهم - وانظر لسان الميزان (٤/٣٦٦) . وقد قال الحافظ ابن كثير فى التفسير (٤/٤٩١) : هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح - والله سبحانه وتعالى أعلم .

عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن ابن آدم لفى غفلة عما خلقه الله عز وجل له ، إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه ، قال للملك : اكتب رزقه ، وأثره وأجله ، واكتب شقيا أو سعيدا ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ، ثم جاء ملك الموت عليه السلام ، فيقبض روحه ، فإذا أدخل حفرته رد الروح فى جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فأنشطا كتابا معقودا فى عنقه ، ثم حضرا معه : واحد سائق ، والآخر شهيد ، ثم قال الله عز وجل **﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّن هذا فكشفنا عَنكَ غِطَآءك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾** .(قٓ : ٢٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾** قال : « حالا بعد حال » . ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن قدامكم لأمراً عظيماً ، فاستعينوا بالله العظيم » .

فقد اشتمل هذا الحديث - وهو حديث ضعيف - على أحوال تعترى الإنسان من حين خلقه إلى حين بعثه ، وكله شدة بعد شدة : حياة ثم موت ، ثم بعث ، ثم جزاء . وفى كل حال من هذه الأحوال شدائد .

[٤٣] قال النبى صلى الله عليه وسلم :« لتركبن » ، وفى رواية البخارى :« لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟ أخرجه البخارى .

قال عكرمة : ﴿طبقا عن طبق﴾ أى حالا بعد حال ، فطيما بعد رضيع ، وشيخا بعد شباب ، قال الشاعر :

كذلك المرء إن ينسأ له أجل
يركب على طبق من بعده طبق

[٤٣] متفق عليه .، البخارى فى الاعتصام (٧٣٢٠) ، ومسلم فى العلم (٢٦٦٩) ، من حديث أبى سعيد الخدرى . وأما لفظ «لتركبن» فهو ثابت أيضا من حديث ابن عباس : أخرجه البزار (١٦٤٥ - مختصر ابن حجر) ، والدولابى فى الكنى (٢/٣٠) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٤٥٥) ، وإسناده حسن . وانظر السلسلة الصحيحة (١٣٤٨) .

وعن مكحول : كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه . قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : وهذا أدل على حدوث العالم[١] ، وإثبات الصانع ، قالت الحكماء : من كان اليوم على حالة وغدا على حالة أخرى ، فليعلم أن تدبيره إلى سواه . وقيل لأبي بكر الوراق : ما الدليل على أن لهذا العالم صانعا؟ فقال : تحويل الحالات ، وعجز القوة ، وضعف الأركان ، وقهر النية ، ونسخ العزيمة [٢] .

والطبق في الأصل : ما طابق غيره مطلقا ، وخص في العرف في الحال المطابقة لغيرها . قال الأقرع بن حابس :

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره

وساقني طبق منه إلى طبق

والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد : وقع في بنات طبق ،

---

(١) يقصد أن الكون مخلوق ، فهو مرد على الملحدين .. قبحهم الله .

(٢) يعني أن الانسان ينوي شيئا ريعزم عزما أكيدا على فعله ، ويأخذ بالأسباب كلها ، ثم يجد أن هذا الشيء لم يتحقق ولا يدري ما السبب !

وإحدى بنات طبق

ويقال مضى طبق من الليل ، طبق من النهار : أى معظم منه

والطبق واحد الأطباق ، فهو مشترك . هذه خلاصة ما ورد فى تفسيره لهذه الآية الكريمة ، التى فيها بيان لأحوال الإنسان وتطوره من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، إلى أن يستقر بعد الحساب إما إلى الجنة وإما إلى السعير ، وهناك الخلود والبقاء . أما هنا فالدار دار فناء ، وليست بدار بقاء ، واليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل . نسأل الله أن يختم لنا وللمسلمين بالأعمال الصالحة ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

﴿ فما لهم لا يؤمنون﴾ :

بعد أن ذكر الله عز وجل الأدلة القاطعة على صحة البعث والحساب . أنكر هنا بطريق الاستفهام – استبعادهم لوقوعه ، وعدم إيمانهم فقال : **﴿ فما لهم لا يؤمنون ﴾** وهذا الاستفهام على وجه الإنكار والتقريع والتبكيت ، فما لكفار قريش هؤلاء لايؤمنون برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بالكتاب الذى

أنزلنا ؟ فما دهاهم ؟ وما الذى حرفهم حتى جحدوا قدرة الله ، وأنكروا صحة البعث ، وكل شىء أمامهم ينادى بباهر قدرة الله ، ويرشد إلى عميم سلطانه . ألم يعلم هؤلاء أنهم إن لم يؤمنوا فسوف لا يكون لهم شىء من النعيم ولا من الكرامة ، ولا من الحياة السعيدة الكريمة ، وأى عذر لهم فى ترك الإيمان ، وعدم الإسلام مع وضوح الأدلة والبراهين ، وقيام الحجج الدامغة التى لا تترك لهم أية شبهة يستمسكون بها على إنكار البعث والحساب .

﴿ وإذا قُرِئَ القرءانُ لا يسجدون ﴾ :

إن أمر هؤلاء فيه الغرابة والعجب ، فهم أهل اللسان وأرباب البلاغة والبراعة والبيان ، وهذا يقتضى أن يعلموا إعجاز هذا القرآن العظيم ، ومتى علموه استكانوا وخضعوا له ، وأدركوا صحة نبوة رسولنا الذى جاءهم بالحق والكتاب المبين ، ووجبت عليهم طاعته ولزمهم الإيمان به ، والاتباع له ، فماذا جرى لهم ، وما الذى دهاهم حتى صاروا إذا قرىء عليهم القرآن لا يعترفون بإعجازه وبلوغه الغاية السامية التى لا يمكن لبشر أن يصل إليها.

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتْ الإنسُ والْجِنّ على أن يَأتُوا بِمثْل هذا الْقُرءانِ لا يَأْتُونَ بِمثْلِه ولَوْ كان بَعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

والسجود مجاز عن الخضوع والخشوع اللازمين لهذا القرآن العظيم ، والمراد بالسجود : الصلاة ، وفى اقتران ذلك بالإيمان دلالة على عظم قدرها وجليل شأنها وأمرها فى الإسلام . وهى عمود الدين ، وركنه المكين ، ومن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين .

وخلاصة المعنى : فماذا يمنع هؤلاء المشركين من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ وما لهم إذا قرأت عليهم آيات الله وكلامه ، وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاما وإكراما واحتراما له ، والبراهين فيه شاهدة على أنه حق ، وأنه نور ، وأنه الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم .

وقد صح عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه سجد عند قراءة هذه الآية .

[٤٤] فقد أخرج مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وغيرهم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال

سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ﴿إذا السماء انشقت﴾ و﴿اقرأ باسم ربك﴾ . (العلق : ١) .

[٤٥] وأخرج الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى ، عن أبى رافع قال :

صليت مع أبى هريرة العتمة[١] ، فقرأ : ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد ، فقلت له ؟ فقال : سجدت خلف أبى القاسم صلى الله عليه وسلم ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه علي الصلاة والسلام .

---

[٤٤] مسلم فى المساجد (١٠٨/٥٧٨) ، وأبو داود (١٤٠٧) والترمذى (٥٧٣ – ٥٧٤) ككلاهما فى الصلاة ، والنسائى فى الافتتاح (١٦٢/٢) ، وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٠٥٨) .

[٤٥] البخارى فى الأذان (٧٦٦) ، ومسلم (١١٠/٥٧٨) ، وأبو داود (١٤٠٧) ، والنسائى (١٦٢/٢) .

(١) العتمة : ظلمة الليل .. وأطلقت على صلاة العشاء لأنها توقع فيها (هدى السارى) .

وفى ذلك رد على ابن عباس رضى الله عنه حيث قال : ليس فى المفصل (١) سجدة

[٤٦] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم : ﴿واسجد واقترب﴾ . (العلق ١٩] فسجد هو ومن معه من المؤمنين ، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر ، فنزلت هذه الآية :

﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ .

ثم عاد رب العزة والجبروت ، فبين السبب فى عدم إيمان هؤلاء المشركين بالقرآن العظيم ، وعدم انصياعهم وانقيادهم إليه . فقال

(١) المفصل : وهو من أول سورة «محمد» صلى الله عليه وسلم ، وقيل : من الفتح ، وقيل – وهو قول الأكثر – من «الحجرات» إلى آخر المصحف الشريف . (ص)

[٤٦] لا يصح . ذكره الزمخشرى فى الكشاف (٤/٧٢٨) وقد ذكره الزيلعى فى تخريجه (ق ٧٠٠ – مخطوط) ولم يخرجه ، وقال الحافظ ابن حجر فى تخريجه (مطبوع من الكشاف) : «لم أجده» . قلت : حديث يقول فيه ابن حجر – وهو أمير المؤمنين فى الحديث – ولم أجده» ، أحسن أحواله أن يكون ضعيفا -- والله أعلم .

﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ :

أى بالقرآن ، وهو انتقال عن كونهم لا يسجدون عند قراءته إلى كونهم يكذبون به صريحا ،ووضع اسم الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر ، والإشعار بعلة الحكم .

قال الشيخ أحمد المراغى فى تفسيره : إن الدلائل الموجبة للإيمان جلية واضحة ، لكنهم قوم معاندون مصرون علي التكذيب ، إما لأنهم يحسدون الرسول صلي الله عليه وسلم علي ما آتاه الله من فضله ، وإما لخوفهم من فوت المناصب الدينية والرياسات التقليدية ، وإما لأنهم يأبون أن يخالفوا ما وجدوا عليه آباءهم من عقائد زائفة ، وأفعال مستهجنة . انتهى .

ولا يحسبن إنسان أن القرآن العظيم بحلاوته وطلاوته [1] وقوة حجته لم يكسر إغلاق قلوبهم ، ولم يبلغ صوته أعماق ضمائرهم ، بل قد بلغ وأقنع فيما بلغ ، ولكن العناد هو الذى يمنعهم من الإيمان ، ويصدهم عن الإذعان ، فليس منشأ التكذيب قصور

(١) الطلاوة : بفتح الطاء وضمها – الحسن والرونق . (الوسيط) .

الدليل ، والإضراب فى قوله : ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ يرمى إلى محذوف من القول ، يدل عليه السابق واللاحق .

قال مقاتل : نزلت فى بنى عمرو بن عمير ، وكانوا أربعة فأسلم اثنان منهم .

وقيل : هى فى جميع الكفار

﴿والله أعلم بما يوعون﴾ :

فالله سبحانه العليم بكل شيء ، والذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، مطلع على ما فى قلوبهم من أسباب الإصرار على الشرك ، ودواعى العناد والاستمرار على ما هم عليه .

روى الضحاك ، عن ابن عباس قال : أى بما يضمرونه فى أنفسهم من التكذيب .

وقال مجاهد : يكتمون من أفعالهم . وقال ابن زيد : يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة ، مأخوذ من الوعاء الذى يجمع ما فيه. يقال : أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته فى الوعاء . قال الشاعر:

الخـير أبقـى وإن طـال الزمـان بـه

والشـر أخبـث ما أوعـيت مـن زاد

﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ :

وهم أهل لهـذا العـذاب الذى وصفـه الـله بالأليم . وهو جـزاء تكذيبهم وإعراضهم وإصرارهم على الشـرك وسىء الأعمال وفاسد الاعتقاد وقبيح العناد ، فلهم جهنم وساءت مصيرا .

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ :

وهنا استثنى الـله عز وجل المؤمنين من جـملة المخاطبين ، وهو استثناء منقطع ، فكأنه قال سبحانه : لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول اللـه ، وعملوا الصالحات ، وأدوا ما عليهم من فـرائض الله ، واستـقاموا فى عـملهم على النهج الواضح فى العـمل الصـالح ، وأطاعوا الله ورسوله لهم أجـر وثواب **﴿غير ممنون﴾** أى غير مـقطوع ولا منقوص ، بل خيره مـوصول ، ومدده متـصل كذلك ، وخـيـر الله لعـبـاده يكثـر ويطيب وفى هذه الآية ومثيلاتها فى كتاب الله ترغيب فى الطاعة ، وزجر عن المعصية .

سأل نافع بن الأزرق ابن عباس رضى الله عنه عن قوله : ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ فقال : غير مقطوع فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ قال : نعم قد عرفه أخو « يشكر » حيث يقول :

فترى خلفهن من سرعة الرجـ ـع منينا كأنه أهباء

قال المبرد : المنين الغبار ، لأنها تقطعه وراءها . وكل ضعيف منين وممنون .

وقيل : ﴿غير ممنون﴾ لا يمن عليهم به ، ولله المنة والفضل على البشر أجمعين ، والله تبارك وتعالى وعدهم بأجر خالص من الشوائب دائم ، لا انقطاع فيه ولا نقص ولا بخس ، وهذا نهاية الوعد ، فصار ذلك ترغيبا فى العبادات لينال العباد ما عند الله من أجر وغنيمة . كما أن الذى تقدم يدعو إلى الزجر عن المعاصى والكف عن الآثام ، نسأل الله أن يوفقنا لطاعته ، وترك معاصيه ، إنه نعم المأمول .

انتهى تفسير سورة الانشقاق (١) .

(١) كانت فى آخر الختام ، ومكانها هنا أولى .

وبهذا ينتهي هذا الكتاب المختصر الذى نسأل الله عز وجل أن ينفع به المسلمين ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

كما نسأله تبارك وتعالى أن يرد المسلمين إليه ردا جميلا ، فقد طغت المادة على الناس وأعمت منهم البصائر والأبصار ، وانحرفت بهم الدنيا الغرارة ، وأوردتهم موارد الهلكة والخسران ، وإلا من رحم الله منهم ، وقليل ما هم ؛ وما أحوج الناس اليوم ونحن فى عصر الفتن والمحن إلى مثل هذه الكتب ، التى تذكرهم بالآخرة وأهوالها ، وأحوالها ، ومدلهمات أمورها التى يشيب لها الولدان ، وهى قاب قوسين منا أو أدنى ، ولكن الناس عنها

غافلون ، وبدنياهم مغترون ، وعن آخرتهم لاهون والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيد العالمين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وأكرم مسئول هو الله ، والله أعلم بمراده ، والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف

غرة رجب ١٣٩٧

مكة المكرمة

* * *

الفهرس العام

صدر حديثاً

معجم

الأحاديث القدسية الصحيحة

ومعها الأربعون القدسية

للإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري

المعروف بملا علي القاري، المتوفي سنة «١٠١٤ هـ»

إعداد وتحقيق

أبي عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياني المصري

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

صدر حديثاً

فتاوى العقيدة

أسئلة هامة ملحة وأجوبة نافعة في العقيدة الصحيحة

العقيدة الصحيحة هي جوهر الإسلام ولبه
وهي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع المسلم

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح بن عثيمين
عضو هيئة كبار العلماء والأستاذ بكلية الشريعة

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

صدر حديثاً

وصف النار

اختصار لكتاب "التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار"

للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

"٧٣٦ - ٧٥٩هـ"

إعداد وتحقيق

أبي معاذ أيمن بن عارف الدمشقي

مكتبة السنة

الدار السلفية لنشر العلم

ايداع رقم ٩٣/٢٥٧٥ دولى رقم X – ٢٤ – ٩٧٧/٥١٠٥

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون: ٩٠٤٣٦٢